إهمال القضية
السُنّية العراقية لماذا؟

وفد شعبي مصري لإيران..
اللعب على الأحبال

الوجه الآخر .. علي شريعتي

الراصد

www.alrased.net
سلسلة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

العدد ١٢٩ ربيع أول ١٤٣٥هـ

أهل السنة..
علّتنا في تفرقنا!

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

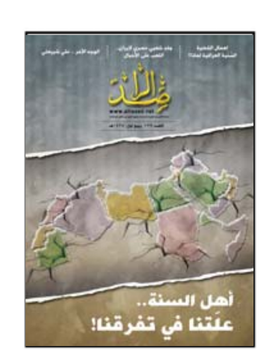
دراســـــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٢٩)
ربيع الأول- ١٤٣٥ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

أهل السنة.. علّتنا في تفرقنا!

لم يعد هناك مجال للنقاش حول قيام محور إيران/ الشيعة بشن حرب عسكرية طائفية شيعية مع تورط جيش المالكي بالهجوم على الأنبار وأهل السنة فيها، وهذه الحرب الطائفية تشتعل في أربع دولٍ بالمنطقة العربية (سوريا، لبنان، اليمن، العراق)، فضلاً عن احتلال إيران للجزر الإماراتية، وتحريضها الدائم لشيعة البحرين للتحرك العسكري ضد الدولة، عبر تقديم السلاح والمال، وقد قبضت السلطات البحرينية في ٢٠١٣/١٢/٢٨ على سفينة عراقية محملة بالأسلحة الإيرانية والسورية.

ورغم مئات ألوف القتلى، وملايين المصابين والمفقودين والمشردين، لا يزال أهل السنة مختلفين متنازعين متفرقين، سواء على مستوى الدول والأنظمة، أو على مستوى المعارضة والحركات الإسلامية، وهذه الفرقة هي أضخم نقطة قوة يستفيد منها المحور الإيراني، ومن قبله العدو الإسرائيلي.

فإسرائيل اليوم تعمل بكل قوة على تعميق الشرخ في المجتمعات العربية التي شهدت ثورات الربيع العربي، بتحريض القوى القديمة على قوى الثورة من جهة، والوقيعة بين قوى الثورة الإسلامية وغير الإسلامية، وزرع العراقيل أمام الجماهير العربية حتى لا تكمل مشوار بناء مؤسساتها الرسمية، فضلاً عن دعمها اللامحدود لبقاء المجرم بشار الأسد على حكم سوريا، فمهما حاولت إسرائيل فلن تجد مثله، فبينما سماء سوريا تعج بطائراته التي تلقي براميل المتفجرات على رؤوس السوريين، تمخر الطائرات الإسرائيلية بكل ثقة وأمان لتقصف مواقع في دمشق دون أن تشك لحظة بإمكانية الغدر بها أو محاولة التصدي لها.

ولا يقتصر ذلك على قوات بشار بل يشمل قوات حزب الله والميلشيات الشيعية العراقية والحرس الثوري الإيراني، الذي يزعم أنه يقاتل في سوريا عملاء إسرائيل وأمريكا، لكن إسرائيل تقصف دمشق وهم ينظرون ولا يعبأون، ومن ثم تجتهد إسرائيل في حماية بشار والتنديد بالخطر الأصولي بين الثوار، وهي مطمئنة تمام الاطمئنان للميلشيات الشيعية الوافدة من أنها ستلتزم بكلمة الشرف حول سلامة أمن إسرائيل!!

وهكذا يمضي المشروع الإسرائيلي الصهيوني والمشروع الإيراني في طريقهما للعدوان على حقوقنا وأرواحنا مستغلين حالة الانقسام والفرقة والصدام الداخلية بين أهل السنة، فها هي إسرائيل تواصل العدوان على المسجد الأقصى، وتدعم الاستيطان، وأخيراً تعمل على ابتلاع منطقة الغور من الدويلة الفلسطينية الخداج، وإجبار الفلسطينيين على قبول حرية حركتها العسكرية في داخل الدويلة الفلسطينية المنتظرة!

وتسعى إسرائيل للحصول على أكبر المكاسب من مسار المفاوضات في هذه الفترة، التي ظهْر الفلسطينيين فيها مكشوف، بينما العرب مشغولون عن نصرتهم فضلاً عن عجزهم عن نصرتهم، وإيران باسم فلسطين تهدم أربع دول عربية، والفلسطينيون منقسمون، بين من يلجأ إلى أمريكا ومن يلجأ إلى إيران، فأصبح حالهم كالمستجير بعمرو عند كُربته.. كالمستجير من الرمضاء بالنار!!

وهذا أيضاً ما يحدث تجاه المشروع الإيراني الذي يشن علينا حرباً طائفية وأهلية في أربع دول، حيث انقسم العرب إلى قسمين رئيسين: الأنظمة وما والاها من قوى علمانية مختلفة، والإسلاميين، ثم انقسم كل محور إلى ثلاثة أقسام!

فمحور الأنظمة والقوى العلمانية ينقسم إلى: المحافظين ذوي الميول الدينية العامة الذين عندهم رفض للأطماع الإيرانية والشيعية بالجملة من منطلق سياسي، لكنهم عاجزون عن مقاومة المشروع الإيراني الطائفي

بسبب غياب البعد الديني عن رؤيتهم، وهناك الليبراليون الذين هم أشد رفضاً للمشروع الإيراني من منطلق سياسي وفكري ليبرالي، لكنهم أيضاً يفتقرون للقناعة بقدرة المشروع الديني على مقاومة المشروع الإيراني، وأخيراً عندنا العلمانيون اليساريون المتماهون مع المشروع الإيراني بدرجات مختلفة، بحجة مقاومة الصهيونية والممانعة للقوى الاستكبارية، وغالبا ما ينجح هؤلاء في إفشال الجهود الضعيفة أصلاً للقسمين الأولين تجاه مقاومة المشروع الإيراني، من خلال سيطرتهم على المنابر الإعلامية والثقافية.

والمشكلة الأهم هنا أن هؤلاء الأقسام الثلاثة هم على خصام حاد مع التيار الإسلامي بالجملة، ويرفضون التواصل معه والتفاهم، إما لموقف فكري يرفض الدين كالشيوعيين، أو يرفض حضور الدين في السياسة كالليبراليين، أو بسبب اتهامه للإسلاميين - وخاصة جماعة الإخوان المسلمين- بكونهم أداة لإيران في دولهم! وقد تفاقم الخصام بعد سنوات الربيع العربي، لكنه بلغ الذروة مع تأييد الأنظمة والقوى العلمانية للانقلاب العسكري على الرئيس المصري محمد مرسي المنتمي للإخوان.

في المقابل نجد التيار الإسلامي ينقسم لثلاثة أقسام رئيسية:

الإخوان المسلمين، وعلاقتهم بالأنظمة غالبا متوترة لأنهم يعدون المنافس الأكبر للأنظمة، وأيضاً براغماتيتهم التي تمكنهم من فتح علاقات وثيقة بالأمريكان والإيرانيين مما يزيد من توجس الأنظمة منهم، لذلك نجد أن مواقف الإخوان رمادية من العدوان الإيراني على الدول العربية، ويتميز بالمعالجة الجزئية لكل بلد بما يحقق مصلحة الإخوان/ التنظيم فيه، وليس الالتزام بمصلحة الأمة، ولذلك تجيش جماعة الإخوان الأمة ضد انقلاب السيسي، ولكن لا مانع لديها من إبقاء حركة حماس للعلاقات أو إعادتها مع إيران والنظام السوري وحزب الله، للتملص من الحصار الدنيء لغزة.

وأيضاً في سوريا يكاد ينحصر دور الإخوان كالقوى العلمانية في اللعبة السياسية، وفي العراق هناك اتهامات للحزب الإسلامي بعقده صفقة مع المالكي لمصلحته الإخوانية بعيداً عن مصلحة السنة، وفي اليمن يتفرج حزب الإصلاح على عدوان الحوثيين على دماج حفاظاً على مصلحته لا مصلحة اليمن، وهذا الموقف الرمادي للإخوان من إيران والشيعة، يعمّق الشرخ والفرقة في البلاد العربية، في الوقت الذي يجتهد الإخوان فيه للوحدة مع إيران والشيعة!!

القسم الثاني هم السلفيون المشاركون بالعمل السياسي، وهؤلاء أعرف الناس بخطر المشروع الإيراني والشيعي، وهم الذين يقودون مقاومته على الأرض في أوساط المجتمعات العربية السنية، لكن الليبراليين واليساريين يناصبونهم أشد العداء بسبب ما يسمونه تشدد السلفيين وتعصبهم الديني، وجاءت علاقاتهم بالإخوان وتعاونهم مع الإخوان خاصة بعد الانقلاب في مصر، لتزيد من الفجوة بينهم وبين أهل القسم الأول بعامة، مما جعل مقاومتهم للمشروع الإيراني لا تجد سنداً من الدول، بل في حالة تصادم مع مشروع الليبراليين لمقاومة التمدد الشيعي بثقافة الانفتاح والانبطاح الأخلاقي! ويجد هؤلاء السلفيون أنفسهم في زاوية ضيقة بين ضرورة نصرة الإخوان بصفتهم يحملون راية إسلامية أمام الغزو العلماني المدعوم غربياً وإسرائيلياً ووقع عليهم ظلم بالانقلاب وتحطيم المسار الديمقراطي السلمي، وبين الخوف والقلق من براغماتية الإخوان الشرعية التي تتناغم مع الليبراليين كثيراً، أو براغماتيتهم السياسية التي لا تمانع في التحالف مع إيران برغم عدائها الذي يوازي العداء الإسرائيلي!!

وأخيراً هناك السلفيون غير السياسيين، الذين هم بعكس الإخوان على علاقة جيدة بالدول والأنظمة وعداء لإيران والشيعة، لكن تأثيرهم محدود، وأيضاً هم غير مرحب بهم من الليبراليين واليساريين، والسكوت عنهم غالباً ما يكون لدوافع انتهازية لضرب الإسلاميين بعضهم ببعض.

الخلاصة:

إن بقاء مقاومة المشروع الإسرائيلي والإيراني رهينة الصراعات الداخلية مؤذن بالفشل والهزيمة، ولا بد من الوصول لمشتركات حقيقية لنصرة المصلحة العامة، خاصة أن جميع الأطراف تقوم بعقد تحالفات مع خصومها أو مع أطراف لا تقل خطورة عمّن ترفض التعاون معهم.

إن المشروع الإسرائيلي والإيراني لا يقاومه مشروع يسحق شباب الأمة تحت وطأة الشهوات، ولا مشروع يُضل شباب الأمة بسيل من الشبهات، وإن التنازلات التي تقدم للأمريكان أو الإسرائيليين أو الإيرانيين، لو قدمت وبذلت في ما بيننا لكان النجاح حليفنا والفوز من نصيبنا.



٢١- العالم العامل المجاهد د. عمر سليمان الأشقر (١٣٥٩/١٤٣٣هـ - ١٩٤٠/٢٠١٢م)

أسامة شحادة(*) - خاص بالراصد

(وبهذه الحلقة نختتم هذه السلسلة المباركة، ولعل الله أن ييسر استكمالها في المستقبل القريب)

تمهيد:

لعلّ العلامة العامل المجاهد الشيخ عمر الأشقر رحمه الله من آخر من فقدناه من العلماء الربانيين الذين كانوا قدوة للناس ونموذجا يضرب بهم المثل، في علمهم وأخلاقهم وعملهم ودعوتهم وإصلاحهم وجهادهم، وهو برغم كل هذا الدور الكبير كان زاهداً في الشهرة، بعيداً عن الأضواء، لا يعرف كثير من الناس موقعه المركزي في قلب الأحداث الجارية ملء السمع والبصر!

الشيخ عمر زهد فيه كثير من الناس والشباب وحسبوه عالماً تقليدياً كبقية العلماء، وذلك لما يرونه من هدوئه وتواضعه وسكينته، ولم يكونوا يعلمون أن خلف هذا كله نفسا وثابة للمعالي وقلب أسد لا يهاب المخاطر وعقلا راجح يفتك بالأعداء وهو يبتسم بهدوء.

ولذلك كم صُدم كثير من معارف الشيخ وأصدقائه وجيرانه وطلابه عندما علموا أنه أحد أربعة أسسوا حركة حماس! وكم صدم الناس وهم يرون ويسمعون شهادات الفضلاء في الشيخ ودوره ومواقفه المجهولة، والتي زادها قوة وتأثيراً صدورها من الشيخ الهادئ والصامت.

مسيرة الشيخ امتدت عبر ما يزيد عن نصف قرن من الزمان، ولم تقتصر على بلد دون بلد، وإن تركزت في فلسطين والكويت، وتنوعت في كافة مجالات الخير والمعروف والإصلاح، وأحيا في الناس سيرة العلماء المجاهدين والمجتهدين الباذلين والأتقياء الأخفياء كما نحسبه والله حسيبه.

مولده:

وُلد العلاّمة عمر الأشقر سنة ١٩٤٠م في قرية برقة، قضاء نابلس، بفلسطين، إبان الانتداب البريطاني، والذي كان يجتهد في ظلم الفلسطينيين وتهيئة الأمور لقيام دولة إسرائيل، وقد تعرض الشيخ لظلم الإنجليز وهو رضيع في حضن والدته، إذ داهم الجنود منزلهم وعاثوا فيه فساداً لكن الله نجاه من أذاهم الذي قضى على كثير من الأطفال.

في هذا الجو ولد عمر الأشقر، وكبر على رؤية الظلم والاحتلال يجتاح قريته وبلده، ثم رأى والده يشارك في المعارك ضد الإنجليز، ولما خسر الفلسطينيون، رأى والده يخبئ بندقيته في الحقل

(*) كاتب أردني.

ليوم قادم، ونشأ يسمع القصص عن فلسطين وكيف غزاها الإنجليز ومن ثم اليهود، ورأى تدفق اللاجئين من فلسطين على قريته في نكبة سنة ١٩٤٨، وكيف كانوا يصطفون طوابير لاستلام المعونات الغذائية، هذه هي طفولة عمر الأشقر في فلسطين، فهو قد غادرها سنة ١٩٥٣م وعمره ١٣ عاماً، للرياض بالسعودية حيث سبقه إخوته الكبار.

كان عمر هو أصغر إخوته الذكور، وقد ولد مريضاً به نقص خلقي في الرئتين، مما حدّ من لعبه ومشاركته أقرانه، ولكن الأطباء قالوا إنه بعد سن ١٨ يتخلص من مرضه، وقد كان.

كان والده محباً للخير يدعو الأئمة والمشايخ الذين يتجولون على القرى لبيته فيكرمهم ويضيفهم، أما والدته فقد كانت أماً صالحة تعاهدت عمر بالتوجيه والنصح، ويحكي الشيخ عن والدته أنها كانت تحدثه عن بعض التوجيهات التي تلقتها وهي شابة من حضور دروس من الشيخ محمود ابن الشيخ عبد الغني اللبدي الذي زار قريتهم، وقد كان الشيخ عبد الغني اللبدي أحد علماء الحنابلة في فلسطين. وقد كان عمر كسائر إخوته وأولاد جيله يعمل بالحقل مع والده بعد انتهاء دوام المدرسة، حيث أنهى دراسة الابتدائية في مدينة نابلس.

وفي قريته برقة، تعرف الطفل عمر الأشقر على حزب التحرير الإسلامي، إذ كان في قريتهم بعض أعضائه، لكنه لم يرتح لهم، ولم تكن له علاقة بهم، لكنه سيتهم لاحقاً ظلماً بكونه منهم!

وهو في عمر العاشرة يرى الأشقر رؤيا، رأى أنه يتجوّل بين حقول القرية، وبينما هو يمشي، إذ بالطريق ينقسم إلى قسمين: طريق فيه ارتفاعٌ وصعود إلى أعلى الجبل، وهو صعب وشاق، وطريق إلى أسفل الوادي، وهو سهل ويسير، فاحتار أيهما يسلك، فرأى النبي ﷺ وأبا بكر الصديق، فأشارا إليه أنِ اسلُك الطريق العالي المرتفع ولو كان صعباً، فسلكه، وفرح بها فرحاً عظيماً، وقد فسرها بعد ذلك بسلوك طريق العلم الشرعي.

هذه كانت طفولة عمر في فلسطين، والتي سيغادرها طفلاً للسعودية، ثم يزورها عدة مرات لكنه سيُحرم منها بعد نكسة عام ٦٧، ويتجذر وجوده في الكويت حتى احتلال صدام لها، فيعود للأردن ويبقى محروماً من قريته حتى وفاته.

رحلته للرياض:

في صيف سنة ١٩٥٣م، رافق عمر والده ووالدته لزيارة أخويه، عبد القادر، ومحمد (العلامة الأصولي محمد الأشقر)، والذي كان رحل للرياض سنة ١٩٤٩م، وكان سفرهم في ذلك الجو اللاهب عبر الصحراء على ظهور شاحنات البضائع، وكم عانوا من تعطل الشاحنات بسبب انغراس العجلات في الرمال، وهذه المعاناة في الانتقال والهجرة لقي منها الشعب الفلسطيني الشيء الكثير، نتيجة احتلال فلسطين من اليهود وقيامهم بترويع الفلسطينيين للهجرة خارجها.

بقي عمر في الرياض في رعاية أخويه، وعاد والداه لفلسطين، فأدخله أخوه محمد المعهد الديني الابتدائي، ثم المعهد الثانوي، فدرس به خمس سنوات، وكعادة الطلاب في تلك السن مر بفترة لم يكن يرى جدوى من الدراسة، وأن العمل أو السفر لدول أمريكا اللاتينية – كحال كثير من أهل فلسطين في ذلك الزمان- أنفع وأجدى له، فترك الرياض وعاد لفلسطين لكن الله عز وجل لم ييسر له ذلك، وعاد من جديد للرياض فأكمل دراسة السنة الثانوية النهائية، وسخر الله له رفقة صالحة أخذت بيده، ثم سخر الله له التعرف على الشيخ مناع القطان، الذي اهتم بأمره وخصّه بنصحه وتوجيهه، وبقي عمر يحفظ للقطان هذا الفضل.

هنا تغيرت نظرة عمر للدراسة فأقبل عليها ودخل كلية الشريعة، بشهادة المعهد الشرعي، ولم يكتف بذلك بل تقدم سنة ١٩٦٢م للحصول على شهادة الثانوية العامة التابعة لوزارة المعارف، من أجل أن يدرس مادة أخرى غير الشريعة في جامعة

الملك سعود، وتم له الحصول على شهادة الثانوية.

سافر عمر لفلسطين وتزوج بها سنة ١٩٦٠م، وكان في زياراته لفلسطين يقوم بالدعوة إلى الله ونشر العلم في قريته وما جاورها وفي مدينة نابلس والمسجد الأقصى أحياناً.

في هذه السنوات العشر (١٩٥٣- ١٩٦٢م) كان عمر الأشقر بصحبة أخويه عبد القادر ومحمد يتردد على مجالس العلماء في الرياض، وخاصة الشيخ ابن باز الذي كان له أثر بارز في حياة عمر، إذ كان عمر في الثالثة عشرة من عمره وكان ابن باز في الثانية والأربعين، ولذلك كان يعامله معاملة أبنائه، وكم حكى لي الشيخ عمر عن ذكرياته مع ابن باز في تلك السن المبكرة فمرة يجيئهم الشيخ إلى بيت أخيه محمد ومرة هم يذهبون إليه، ومرة يخرجون معاً في نزهة أو لإحدى المزارع، وهكذا تربى عمر على يد ابن باز، ولذلك حين جاءت سنة ١٩٦١م عرض عليه الشيخ ابن باز أن يوظفه في الجامعة الإسلامية التي أسندت إليه رئاستها – في البداية كان الشيخ ابن إبراهيم رئيس الجامعة، وابن باز نائب الرئيس، لكن فعلياً كان ابن باز هو الرئيس- فطلب عمر منه أن يكون أمين المكتبة بالجامعة فوافق ابن باز، وهذا يدل على مدى العلاقة القوية بين عمر (٢٢ سنة) وهو طالب في السنة الأولى بكلية الشريعة بالرياض وبين الشيخ ابن باز نائب رئيس الجامعة الإسلامية!

والتقى الأشقر هناك أيضاً بالشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ صالح بن حسين العلي العراقي، والشيخ عبدالرزاق عفيفي، وقد صحبتُ الشيخ د. عبدالله شاكر في زيارة للشيخ عمر في منزله بعمّان، فلما عرف الشيخ عمر أن الشيخ عبدالله شاكر هو رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية، أخذ يسرد عليه من قصص وأخبار الشيخ عبد الرزاق عفيفي الذي كان أحد شيوخها الكبار ورئيسا سابقا لها، فاستغرب الشيخ شاكر، فأخبره الشيخ عمره أنه يعرفه منذ الخمسينيات الميلادية.

في الرياض كان محمد الأشقر شيخا وأبا وصديقا لأخيه عمر، فقد كان يسكن عنده في بيته ويطالع في مكتبته، ويصحبه في زياراته للعلماء، بل ودرّسه في المعهد العلمي بشقراء وفي كلية الشريعة بالرياض، وكان أيضاً يتردد على المكتبة العامة بالرياض والتي كان محمد الأشقر أميناً عاماً لها، وهذا ما جعله يطلب هذه الوظيفة في الجامعة الإسلامية من الشيخ ابن باز.

وهنا يخطئ البعض فيظن أن عمر الأشقر كان طالباً بالجامعة الإسلامية، والصحيح أنه كان أمين المكتبة، وأكمل دراسته انتساباً بكلية الشريعة بالرياض، وأيضاً كان قديم الصلة بابن باز عند نشأة الجامعة الإسلامية كحال كثير من الطلاب الذين لم يعرفوا ابن باز إلا في الجامعة الإسلامية.

الانتقال للمدينة المنورة:

أقام عمر الأشقر بالمدينة ٤ سنوات (١٩٦١ - ١٩٦٥م)، لكنها كانت عن ٤٠ سنة، ففي المدينة كان قد بدأ شبابه وعطاؤه، وفيها خالط العلماء والشيوخ والرموز، وتعرف على الأمم والشعوب، وخاصة الشيخين الألباني والشنقيطي، وفي المدينة مارس الدعوة تطبيقاً، وفيها التقى برفيق الدرب في طريق الدعوة الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق.

عمل الأشقر أميناً لمكتبة الجامعة الإسلامية من ١٩٦١ إلى ١٩٦٤، ثم أصبح بعد تخرجه من كلية الشريعة بالرياض، مدرسا بالمعهد الثانوي التابع للجامعة لسنة واحدة ١٩٦٤ – ١٩٦٥.

يقول الشيخ عمر عن حياته في المدينة: «كنت أتردد في كل يوم من أيامي بين المدينة والجامعة، وكثيراً ما كنت أصلي الصبح في المسجد النبوي، ثم أجلس إلى عالمٍ من علمائها في درسه بعد الفجر، ثم أجلس أقرأ القرآن أو أحفظ منه إلى أن يأتي وقت الانطلاق إلى الجامعة، ... وأبقى هناك إلى أن ينتهي الدوام، فأعود إلى منزلي، ثم أخرج إلى المسجد النبوي لأصلي العصر والمغرب والعشاء، وكنا في هذه الأوقات نحضر بعض حلقات العلم،

أو نقوم بزيارة عالم من العلماء، أو ندرس في بعض العلوم المقررة علينا في كلية الشريعة بالرياض، .. وكنت أقوم بإلقاء بعض الدروس بالمسجد النبوي».

وفي الجامعة كان مكتبُه قريبا من مكتب الشيخ ابن باز فكان كثيراً ما يرافقه لصلاة الظهر في مسجد الجامعة، وأحياناً يحضر بعض لقاءاته مع الوفود الزائرة، كما كان أحياناً يذهب له قبل الفجر ليرافقه للمسجد النبوي ويعود معه لمنزله حيث كان يجلس لطلبة العلم.

كما أنه رافق الشيخ في العديد من الرحلات التي ضمت عددا من العلماء والطلبة لقرى المدينة للدعوة والنصح والتعليم، وبهذه العلاقة الوطيدة زرع ابن باز في الأشقر حب العلم والبذل في التعليم والدعوة والاهتمام بتزكية القلب.

ومن خلال قربه من الشيخ ابن باز تعرف الأشقر على كثير من العلماء والدعاة من أقطار عديدة، وهؤلاء إما كانوا ضيوفا على الجامعة يقدمون بعض المحاضرات أو أعضاء بمجلس أمنائها، ومن هنا أصبحت للأشقر صلات بكثير من البارزين والمشهورين برغم حداثة سنه، مثل الشيخ أبي الحسن الندوي، والشيخ أبي الأعلى المودودي، والشيخ محمد الصواف، والحاج أمين الحسيني، وهذه اللقاءات فتحت عقله وذهنه لتنوع التحديات التي يعيشها العالم الإسلامي، وكونت لديه رؤية واضحة عن تباين شخصيات وطرائق واهتمامات العلماء والدعاة بحسب بيئاتهم ومناهجهم، فضلاً عن أنها قدمت له النموذج العملي للتعامل الأخلاقي الراقي بين الكبار مما أكسبه هيبة ووقاراً وسمتاً كان علامة مميزة له عن أقرانه وأصدقائه.


صورة نادرة للشيخ عمر الأشقر في شبابه

وفي المدينة تعرف الأشقر على الشيخ الألباني الذي كان جاراً له في السكن، وقد حدثت بينهما ألفة عميقة، تعدت علاقة الطالب بالشيخ، فقد كان الألباني ينبذ بطبيعته المتحررة قيود المشيخة وكان الأشقر عنده أكبر من تلميذ، وقد بقيت للأشقر مكانة عند الشيخ الألباني حتى نقل عنه في مدح الأشقر قوله: «عليه سمت العلماء».

اكتسب الأشقر من الألباني روح التحرر في البحث والتدريس بطريقة المناقشة والبحث، وعدم التكبر على العلم وسرعة الاعتراف بالخطأ، من قصص الأشقر مع شيخه الألباني، أنه راجع الشيخ بخصوص موقفه من استعمال الكحول، حيث كان الشيخ الألباني يرى أن نجاسته معنوية ويجوز استعماله، فاعترض الأشقر معتبرا أن الكحول خمر يحرم استعماله، لأن الخمر لا يجوز بيعه ولا شراؤه، فقال الشيخ الألباني هذا صحيح وامتنع عن استخدام العطور المصنعة من الكحول.

أما الشيخ الشنقيطي (صاحب أضواء البيان) فقد كانت دروسه في شهر رمضان فقط فكان يحرص عليها الأشقر، ومع قلة هذه الدروس إلا أنه توفي وهو معظّمٌ للشنقيطي خاصة وأنه أعاد مطالعة أضواء البيان في سنواته الأخيرة من أجل كتابة تفسيره للقرآن الكريم، فكان كثير الثناء والترحم عليه.

جاء الأشقر للمدينة المنورة فوجد فيها «مجموعة من طلبة العلم كانوا يخرجون بأنفسهم في كل أسبوع مرة لزيارة مسجد من مساجد المدينة، فكانوا يلتقون، ويدرسون، ويدرّسون، ويعلّمون أهل المسجد، ... وكان عدد هؤلاء لا يزيد على

ثلاثين من طلبة العلم .. كان أبرزهم الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق» فانضم إليه الأشقر، وأصبح هو وعبد الرحمن قادة المجموعة، وقامت بينهما محبة عظيمة وتعاون وثيق، في تكرار للقاء عبد الحميد بن باديس مع البشير الإبراهيمي بالمدينة المنورة قبل ٤٠ سنة!!

وتطور هذا النشاط إلى طلب مساعدة الشيخ ابن باز من أجل القيام برحلة شهرية للمدن بين المدينة ومكة، وفعلا ساعدهم الشيخ ابن باز، بل وخرج معهم عدة مرات وخرج عدد من العلماء كالألباني – وكان أكثر العلماء مشاركة بالرحلات- والشيخ عطية سالم، والشيخ محمد عبدالوهاب البنا المصري، وقد عقدت في تلك الرحلات مجالس علمية مشتركة بين ابن باز والألباني كانت من أروع مجالس العلم، وأكثرها تأثيراً في طلبة العلم، لِما فيها من علم كبير وخلق رفيع وتعامل راق.

ثم تطورت الفكرة للذهاب في سفرة دعوية خارج السعودية فوقع الاختيار على السودان، وفعلا في عام ١٩٦٣ سافر الأشقر وعبدالرحمن عبد الخالق والشيخ محمد عبد الوهاب البنا وأحمد صالح من فلسطين وربيع مزمل والسر كمال الدين من السودان، فتجولوا في ربوع السودان بالدعوة والتعليم، وزاروا جماعة أنصار السنة المحمدية، وقد كانت هذه الرحلات بمثابة تدريب عملي على الدعوة إلى الله بالتخطيط والتنفيذ وفهم واقع المجتمعات، والتعرف على نشاط الدعاة والعلماء، وفي السنة التالية تعذر على الأشقر مرافقة المجموعة بسبب إجراءات الإقامة، فحزن كثيراً على حرمانه من تلك الرحلة.

وقد كان للأشقر وعبد الرحمن تأملات في مسيرة الدعوة ومحاولات لوضع تصور علمي وتربوي، فنجد عبدالرحمن يرسل للأشقر تقريرا من السودان عن الرحلة ومَن قابلوا وتقييم للدعاة السلفيين ومن يصلح منهم لقيادة أنصار السنة المحمدية، ونجد تركيزا على توفر القدرات التدريسية عند الشخصيات موضع التقييم، ثم نجد في رسالة ثانية بعد ترحيل الأشقر من المدينة – سيأتي الحديث عن ذلك- أن ردود الفعل الفاترة والغائرة من الطلبة والأساتذة والعلماء على سجن الأشقر وعبد الرحمن تحتاج إلى دراسة وتقييم لمستقبل المسار الدعوي الذي يسعى له الأشقر وعبدالرحمن.

هذا النشاط في المدينة جعل من الأشقر وعبد الرحمن علَمين بين الشباب والعلماء، ومع هذا النشاط كان تفوقهما العلمي واضحاً بين أقرانهما، وهنا جاءت حادثة أنهت هذه المرحلة الجميلة الرائقة من حياتهما في المدينة لتبدأ لهما قصة أكثر تشويقاً وخيراً وبركة.

ففي عام ١٩٦٥ ظهرت في المدينة ظاهرة مستنكرة وهي وضع المحلات التجارية مجسمات توضع عليها الملابس على واجهة المحلات، فأنكرها الشيخ ابن باز، لكن بعض الشباب المتعجل قرر الخروج للسوق وتكسير هذه المجسمات، ولمّا علم الأشقر وعبدالرحمن بذلك ذهبوا إليهم ونهوهم، واتفقوا على أن يقوم عبد الرحمن بالتدريس في المسجد عن حرمة هذه المجسمات ومن ثم يخرجون ينصحون الباعة، ولكن أولئك الشباب كانوا قرروا الغدر بهم، وفعلا ما أن أنهي الدرس وخرجوا لنصح الباعة، حتى هجم أولئك الشباب على المجسمات والمحلات وكسروها، وأحدثوا بلبلة، فقدمت الشرطة واعتقلت البعض، ولكن عمر لم يرض أن يبق بعيداً، فلحق بالشرطة وذهب معهم.

وهناك وجد الأشقر أن هناك وشايات عنه بأنه ينتمي لحزب التحرير، وهي وشاية كاذبة، وأبى عليه خلقه أن يذكر حقيقة الأمر وكيف أنهم نصحوا للشباب بعدم مشروعية ذلك الأمر، فتم الإفراج عن الجناة وعوقب ظلماً الأشقر وعبدالرحمن عبدالخالق ومصطفى زربول وعبدالرحمن عبد الصمد، في هذه القضية، فسحبت جنسية الشيخ عبدالرحمن ورُحل مع البقية، وذلك بعد أن قضوا عدة أشهر في السجن

بالمدينة، وقد زارهم بالسجن الشيخ ابن باز – وهذا من مكارم الشيخ - وسعى في خلاصهم لكن الله لم يقدّر ذلك، لكنه بقي يحاول حتى رفع المنع عنهم للقدوم للحج والعمرة سنة ١٩٨٦، مما يؤكد متانة العلاقة مع الشيخ ابن باز برغم الغياب عنه ٢٠ سنة.

في المطار يجد الأشقر أستاذه الشيخ محمد المجذوب جاء يودعه وكتب له قصيدة قال فيها:

نودعكم والقلب يعصره الأسى

وليس لنا حول سوى الزفرات

وأوجع ما في محنة اليوم أننا

نرى أبرياء عوقبوا كجناة

على أن في الأحداث لله حكمة

تفجر أنواراً من الظلمات

وهكذا تنتهي رحلة الأشقر بالسعودية وعمره حينها ٢٥ عاماً، قضى منها ١٢ عاماً بصحبة العلماء وعلى رأسهم الشيخ ابن باز، لتبدأ صفحة جديدة.

العودة لفلسطين:

عاد الأشقر لفلسطين، وبعد الراحة خرج يبحث عن أذن بالتدريس والخطابة في المساجد من الأوقاف، وهناك قابل الشيخ عبد الحميد السائح، فلما سمع طلبه عرض عليه أن يعينه في محكمة الاستئناف بالقدس، وبراتب أعلى، لكن الأشقر قال له: إذا تعينت في القضاء فسأحرم التدريس في المدارس، وطلب معونته في التعيين بوزارة المعارف، فأبى الشيخ السائح، وهذا يكشف عن أن التعليم عند الأشقر أصبح رسالة وغاية وهدفا، لم يتخلّ عنه طيلة ٤٠ سنة (١٩٦٥ – ٢٠٠٥).

سافر الأشقر لعمّان وقابل الأستاذ الشاعر يوسف العظم الذي وافق على تعيينه مدرساً بمدارسه (مدارس الأقصى).

في هذه الفترة كان الشيخ عبدالرحمن قد رُحل من السعودية بعد أن سُحبت جنسيته، وسافر برفقة شيخه محمد عبد الوهاب البنا متجها للشام عند شيخه الألباني، لكن إرادة الله شاءت أن تنزل الطائرة بالكويت، وهناك يطلب منه بعض وجهائها البقاء فيها، وفعلا مكث عبدالرحمن في الكويت، وأرسل للأشقر يعلمه بذلك، ويحثه على المجيء، فالوضع خصب للدعوة الإسلامية التي يحلمون بها.

وفعلا عزم الأشقر على السفر للكويت واستكشاف الأحوال، فوقتها كانت عطلة، والمدارس لم تبدأ بعد، وهنا بدأت حياة جديدة للأشقر، لعلها من أخصب أيام حياته.

الاستقرار بالكويت:

وصل الأشقر الكويت في ١٩٦٥/٨/٢٧، وتهيأت أموره برعاية الله، فعُين في وزارة التعليم بمدرسة المتنبي في ١٩٦٥/٩/١٥، واستاجر شقة مشتركة مع عبدالرحمن، وكان الأشقر حين وصل الكويت ذهب لزيارة عبدالرحمن فلما وصل السائق لمسجد في المنطقة التي بها العنوان، قال له الأشقر: ليس هذا المسجد، فمشى حتى جاء مسجدا آخر فقال له: هذا المطلوب! وذلك أن عبد الرحمن رأى رؤية في السجن أنه يؤم في مسجد له صفة معينة، فلما رآه الأشقر عرفه من الرؤيا!!

حين استقر الأشقر وعبدالرحمن بالكويت كانت الحالة الدعوية خاملة برغم وجود عدة جماعات إسلامية بالكويت، فقد كانت جماعة الإخوان موجودة ولها جمعية الإرشاد، وكان عدد من التحريريين موجودا بالكويت، لكن بسبب الموجة الناصرية كان عندهم أنفسهم تخوف من العمل الإسلامي.

ولكن الوافدين كانا شابين متحمّسين وجاءا من السعودية التي ليس بها سطوة للناصرية، وليس لهما ارتباط بتنظيم أو جماعة تقيد حركتهما، فانطلقا في مجال الدعوة، يقول الأشقر: «انطلقت أنا والشيخ عبدالرحمن عبدالخالق نعمل في مسارين: الأول، في تعليم الناشئة الإسلام في المدارس؛ والثاني، التدريس في المساجد... ولم تكن لنا خلفية حزبية تأمرنا وتنهانا.. وأتانا بعض القيادات الإسلامية تناقشنا تجاه ما نقوم به من عمل، وطلَبت منا التوقف عن العمل في المساجد»،

لكنهما مضيا، ثم لحق بهما الجميع، وقد كان للشيخ رؤية رآها في المنام أنه يمشي في حقول متفاوتة هو الشيخ عبد الرحمن، وقد أولها الشيخ عمر بأنها ثمرات الدعوة الإسلامية في الكويت.

يمكن تلخيص حياة الأشقر وأدواره الدعوية والإصلاحية بالكويت والتي تعاون مع الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق فيها والتي امتدت ٢٥ عاماً، بالنقاط التالية:

١- العمل بالتدريس كرسالة وهدف ورعاية الشباب ونشر الدعوة الإسلامية، فهو بدأ بتعليم الطلاب سنة ١٩٦٥ في مدرسة المتنبي المتوسطة نحو ست سنوات، ثم انتقل إلى مدرسة خالد بن الوليد المتوسطة لمدة سنتين، ثم انتقل إلى مدرسة عبدالله السالم الثانوية عام ١٩٧٢م، ثم انتقل إلى معهد المعلمات عام ١٩٧٧م، ثم مدرسا في كلية الشريعة بجامعة الكويت ١٩٨٠ - ١٩٩٠م.

ولم يقتصر نشاطه على التعليم في الفصل، بل امتد للأنشطة اللامنهجية، فأسس الجماعة الدينية في مدرسة المتنبي، التي رعت الطلاب بالدروس والرحلات والترفيه الهادف والتوجيه الراقي، وأثمرت هذه الجماعات المدرسية أجيالا ضخمة من الشباب قادت مسيرة العمل الإسلامي في الكويت وخارج الكويت، كان منهم قادة حركة حماس كخالد مشعل وزملائه بالمكتب السياسي، وسنعود لتفصيل ذلك.

وأيضاً حين دخل الشيخ معهد المعلمات سنة ١٩٧٧ لعله لم يكن هناك طالبة محجبة واحدة في المعهد، لكن بفضل الله لم يخرج الشيخ إلا وقد انتشر الحجاب في المعهد بشكل ظاهر، برغم ما لقي الشيخ من عنت من الإدارة والتيارات العلمانية.

وأيضاً في الجامعة كان للشيخ دور كبير في نصرة التيار الإسلامي وترسيخ العمل الطلابي الإسلامي، والتصدي للتيار العلماني في جامعة الكويت، وكل هذا بالعلم والرفق والهدوء مع الصراحة وقوة الحجة.

وأيضاً شارك الشيخ الأشقر والشيخ عبدالرحمن بوضع مناهج التربية الإسلامية للطلبة في المدارس، وللشيخ الأشقر عدة كتب تدرس كمقررات في الجامعات حول العالم، ككتابه: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، والمدخل إلى الشريعة والفقه الإسلامي، والواضح في شرح قانون الأحوال الشخصية الأردني، أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، وغيرها من الكتب المشتركة.

توجه الأشقر خلال تلك الفترة لإكمال الدراسات العليا بالقاهرة فحصل على الماجستير من الأزهر عام ١٩٧٤، وتأخر بالحصول على الدكتوراه بسبب كثرة الأشغال الدعوية لكنه تفرغ لرسالة الدكتوراه سنة ١٩٨٠ وحصل عليها بتفوق من الأزهر وكانت في موضوع (الإخلاص)، وهو من أهم القضايا المركزية في حياته ودعوته.

٢- الدعوة في المساجد بالتدريس والخطابة، فكان يدرس الصغار والكبار في المساجد حتى ربى جيلا كاملا، وأسس للعمل الدعوي بالمساجد، من دروس ومسابقات ورحلات، ثم لما كبر هؤلاء الشباب بقي يرعاهم في مؤتمراتهم وملتقياتهم في الكويت وخارج الكويت.

وأصبح ضيفاً دائما على الملتقيات الشبابية والمؤتمرات العلمية والدعوية، فشارك في مؤتمر طلبة أمريكا الشمالية عام ١٩٧٨، وطلبة بريطانيا عام ١٩٨٠، وطلبة الباكستان عام ١٩٨٢، وتواصلت المسيرة. وزار دولا كثيرة للقاء الجاليات ودعوة المسلمين في أوروبا وآسيا وأفريقيا.

٣- تأليف الكتب، ذكر الشيخ أنه كتب في مطلع حياته بعض القصص، لكنه أتلفها بعدما تبين درب الهداية والعلم الشرعي، وكتب بعض المقالات في مجلة الحائط في المعهد الشرعي وكلية الشريعة بالرياض لما كان طالباً، وأخبرني الشيخ مرة أنه جمع قصص ونوادر المدرسين في كتاب، ثم أتلفه لأنه خشي أن يكون الكتاب الذي يُعرف به عمر الأشقر، وأنه صاحب كتاب نكت المدرسين والمعلمين! وهذا يدل على بصيرة وتأمل للعواقب،

وهو مما يحسن بالشباب الاقتداء به من الشيخ.

لم يكن تأليف الشيخ عمر للكتب غرضا وغاية، بل جاء هذا التأليف كأداة للدعوة، فأول كتاب ألفه هو كتابه «الصوم في ضوء الكتاب والسنة»، حيث طلب منه مدير المدرسة كتابة شيء عن الصيام للطلبة، فكتب هذا الكتاب، وطُبع بكمية قليلة لأن المدير كان يرغب ببضعة أوراق فحسب.

وأيضاً كتبه الأشهر، وهي سلسلة العقيدة، هي في الأصل مسودات تحضير دروس للشباب في العقيدة، ثم طلب أحد الناشرين من الأشقر أن يزوده بما عنده للطباعة، وكتب الله لها القبول.

وهكذا أغلب مؤلفاته التي جاوزت ٥٠ كتاباً، لم تؤلف إلا لحاجة أو سبب وقد وضع الله فيها البركة فلقيت القبول والذيوع عند الناس، وتعددت طباعتها وترجم كثير منها للغات عديدة، وقُرر بعضها في الجامعات ودروس العلماء والدعاة، وقد تربى على فكر الشيخ وكتبه أضعاف أضعاف ممّن التقوا بالشيخ بشكل مباشر.

ولعل من أجمل ما قيل في الثناء على كتب الشيخ عمر قول الشيخ محمد إسماعيل المقدم: «إذا رأيت اسم عمر الأشقر على كتاب فاشتره مهما كان موضوعه». وهو يميل في كتبه لبساطة العبارة والطريقة المنهجية التدريسية مع ذكر الأدلة ومناقشة الاعتراضات بإنصاف.

ومن آخر مشاريع الشيخ العلمية تفسير القرآن الكريم، وقد أتم منه تفسير ١٨ جزءا، ولعله يصدر قريباً إن شاء الله.

وللشيخ مقالات في عدد من المجلات كمجلة الشهاب البيروتية والمجتمع الكويتية وغيرهما، وقد جمعت بعض هذه المقالات في كتب.

٤- في منتصف السبعينيات الميلادية بدأت الدعوة تثمر وتظهر نتائجها الطيبة، وكان للشيخ عمر والشيخ عبد الرحمن دور كبير في نشوء التيار السلفي في الكويت وانتشاره، فتابع الشيخ عبد الرحمن نشاطه مع التيار السلفي، وبقي الشيخ عمر مرجعاً شرعياً في مسائل العقيدة وغيرها، ولكنه اختلط خطأً مع الإخوان المسلمين، خاصة الفلسطينيين، وساعد على ذلك كثافة الوجود الفلسطيني في الكويت.

والشيخ عمر حين انضم لجماعة الإخوان دخلها كعالم سلفي وليس كشخص عادي، يقول الأشقر عن نفسه حين وصل الكويت قبل دخوله الإخوان بعشر سنوات: «فقد حططت رحالي بها وأنا في مطلع مرحلة الشباب، وكنت حصلت على بعض العلم والعمل في الفترة التي كنت فيها في المدينة المنورة.. عملت عدة سنوات في الجامعة الإسلامية، صحبت فيها علماء أعلاما، منهم فضيلة شيخنا الشيخ ابن باز، ومنهم الشيخ الألباني والعلامة الشنقيطي.. وقد عملت في مجال الدعوة إلى الله في مساجد المدينة، وكان لي شرف الإشراف، مع إخوة، على الرحلات التي تقوم بها الجامعة إلى المدن ورحلات الحج والعمرة. وسافرت إلى السودان، وتعرفت على عدد كبير من العلماء والدعاة الذين يردون المدينة، أمثال الشيخ أبو الأعلى المودودي، والشيخ الندوي، والشيخ أمين الحسيني. لذا، فإنني لم أبدأ العمل من الصفر عند حلولي في الكويت، بل تابعت مسيرة سابقة حافلة بالعطاء، وكان لي من الخبرة ما يمكنني من الانطلاق بالدعوة».

ومما يدلل على سعة علاقات الشيخ عمر مع العلماء والفضلاء والشخصيات العامة قبل مجيئه للكويت، أن الشيخ محمد ناصيف والذي كان من أشهر أعيان جدة والذي توفي عام ١٩٧١ عن ٨٥ عاماً، كان يراسل الشاب عمر الأشقر سنة ١٩٦٩ (عمر الأشقر آنذاك ٢٩ سنة) يطلب منه تزويده ببعض مطبوعات الكويت، ذلك أن الأشقر كان يتردد على منزله بجدة كلما حجّ أو اعتمر.

يقول د. محسن الصالح وهو أحد المقربين من الشيخ: «دُعي الشيخ لدخول جماعة الإخوان بطريقة فجّة حيث زاره أحد الإخوان، مؤكداً على استفادتهم واستفادة شباب الإخوان من علمه، ولكنه عرض عليه الدخول في «حلقة مفتوحة» لمدة

ثلاث سنوات... ثم يرون بعد ذلك إن كانوا سيقبلونه في عضوية الإخوان أم لا!!! فرفض الشيخ عمر.

غضبت قيادة الإخوان من أسلوب الأخ الذي دعاه، فأرسلت إليه الأستاذ سليمان عبد القادر الذي دعاه للقاء العم سليمان حمد الرئيس الجديد للإخوان الفلسطينيين في الكويت. وعندما زاره دعاه أبو محمد للإخوان دون شروط قائلاً له: «أنت شيخنا»... وافق الشيخ عمر لكنه اشترط ألاَّ يستلم مسؤولية إدارية. وقد وافقوا مبدئياً على ذلك، لكنهم انتخبوه في عضوية المكتب الإداري سنة ١٩٧٨، من موقع التقدير ومن موقع الحاجة إلى خبرته وحكمته، فوافق لكن ظلّ معروفاً عن الشيخ حتى نهاية حياته رحمه الله عزوفه الشديد عن المناصب الإدارية، مع موافقته على المشاركة من مواقع الرأي والمشورة. وكان الشيخ يمثل الكويت في مجلس الشورى لتنظيم بلاد الشام في الأردن».

ولقد أصاب الشيخ محمد عبدالعزيز - وهو من أخص طلبة الفقيد- الحقيقةَ حين وصف الشيخ رحمه الله بأنه «لم يكن حزبياً بالمعنى المقيت»، وهذا مهم لفهم طبيعة دور الأشقر في الإخوان، فهو بقي على سلفيته وعمل على نشرها وبثها في الإخوان، ولذلك نجد الشيخ الأشقر ينبّه في كتابه العقيدة في الله على مخالفة الأستاذ البنا للصواب في باب الأسماء والصفات، برغم أن الكتاب مقرر في كثير من حلقات أسر الإخوان المسلمين في عدة دول، ونجد الشيخ الأشقر قد أنتج خطاً سلفياً في داخل الإخوان. وهذا يجرنا للحديث عن دور الأشقر من الثورة الإيرانية في داخل الإخوان.

٥- بعد انضمام الأشقر للإخوان بعدة سنوات وصل الخميني لحكم إيران بعد الإطاحة بحكم الشاه، وانخدع به فئام عديدة من الناس من العامة والخاصة ومنهم قيادات وأفراد بجماعة الإخوان، فكان للأشقر دور بارز في توعية الناس بخطر الخميني والتشيع وإيران.

أول جهوده في هذا الباب أنه لما كان في القاهرة من أجل دراسة الدكتوراه، وظهر الخميني قام الأشقر بتوعية أعضاء الإخوان من قطاع غزة والأردن الذين يدرسون بالقاهرة بحقيقة التشيع والخميني من خلال جلسات متعددة كانت تضم قرابة ١٥ شخصا، وكان لهذه الجلسات أثر بارز في وقاية الإخوان في هذين البلدين من التشيع العقدي الذي تورط فيه بعض الإخوان المسلمين في دول أخرى كالسودان وتونس.

وثانياً كتب الشيخ رسالة صغيرة عن حقيقة موقف الخميني من العقائد الشيعية وأنه يؤمن بكل طوامهم وكفرياتهم، فعقب الثورة الإيرانية مباشرة، نشرها بين القيادات الإسلامية في الكويت، وأرسل نسخة منها لاجتماع للحركة الإسلامية بالقاهرة لكنهم لم يهتموا بالاطلاع عليها!

وثالثاً حين كان الشيخ مشاركا بمؤتمر إسلامي لشباب الإخوان بلندن في بداية الثورة، فوجئ باستضافة عالم شيعي عراقي مؤيد للخميني ونظريته ولاية الفقيه، رغم أن المؤتمر ليس فيه حضور شيعة، فطلب التعقيب عليه، فلم يقبل المنظمون أن يعقّب عليه الشيخ، فقرر مغادرة المؤتمر، فعاد المنظمون وقرروا أن يعقّب عليه شخص آخر غير الأشقر، ولكنه لم يكفِ ولم يشفِ غليل الأشقر!

ورابعاً بعد هذا المؤتمر مباشرة دعي الشيخ لمؤتمر في أمريكا، وكان منظمو المؤتمر هم طلاب الشيخ في الكويت وقد أخبرهم بما جرى في لندن، فطلب منه المنظمون أن لا يخصص حديثه عن الشيعة، وذلك بسبب وجود تعميم على جميع المراكز الإسلامية بعدم مهاجمة الشيعة! فألقى محاضرة عن (تصويب المسار)، تعرض فيها لخطر الشيعة وانحرافاتهم العقدية، وقد أثارت المحاضرة كثيرا من الحضور المخدوع بإيران والخميني، فانهالت الأسئلة والتعقيبات المعترضة، لكن الله سخر له أن يصرح أحد شبان الشيعة الحاضرين

بأنهم لا يسبون أبا بكر وعمر لكنهم يسبون عائشة فقط! فظهر للجمهور صدق حديث الشيخ وكانت محاضرة نافعة وعت لها قلوب كثيرة خاصة وأن شريط المحاضرة تناقلته الأيدي في بلاد كثيرة.

وقد وصف الشيخ محمد عبدالعزيز هذا الدور الرائد للشيخ الأشقر بقوله: كان الشيخ الأشقر صمام أمان للشعب الفلسطيني من التشيع.

٦- انضمام الشيخ للإخوان كان بشكل رئيسي لإكمال مشوار تربية الشباب الفلسطيني الذي رباه الشيخ في المدارس والمساجد، وقد أثمر ذلك الجيل عن تكوين حركة حماس، إذ كان شباب الأشقر هم غالب قادة المكتب السياسي لحركة حماس لاحقاً.

يقول د. محسن الصالح: «شكل الشيخ عمر وسليمان حمد ثنائياً متناغماً ومتكاملاً، ومكّنت القدرات الاستيعابية المتميزة للعم أبو محمد من الاستفادة القصوى من الشيخ عمر في إطار التنظيم الإخواني، وجمعهما الاهتمام بالشباب، وبالعمل لفلسطين، وبالانفتاح على الوسائل المختلفة والمتجددة للدعوة...

في سنة ١٩٧٨ اتحد التنظيم الفلسطيني مع تنظيم الإخوان في الأردن وشكلا تنظيم بلاد الشام على أمل أن يلتحق بهما السوريون واللبنانيون، وهو ما لم يحصل. غير أن ذلك مثل قفزة في العمل الإسلامي الفلسطيني، تكلل بتشكيل جهاز فلسطين سنة ١٩٨٥ والذي تولى متابعة العمل لفلسطين، وإنشاء حماس، وقيادتها ودعمها لوجستياً؛ وكان الشيخ عمر من رواد هذا العمل ومنظريه ومن العاملين بشكل حثيث على إنجاحه.

استفاد الشيخ عمر وخالد مشعل من زيارتهما للسودان سنة ١٩٨٠ بشكل كبير، إذ اطلعا على تجربة الحركة الإسلامية التي يقودها حسن الترابي هناك، وفتح ذلك لهم آفاقاً جديدة في العمل الإسلامي لفلسطين. كما التقى الشيخ عمر بتكليف من إخوانه بمنير شفيق، ثم بعلي الحسن للاطلاع على تجربة منظمة التحرير والمقاومة الفلسطينية، للاستفادة منها في العمل الذي يجري إعداده لما سيعرف مستقبلاً بحركة حماس.

وفي تلك الأثناء اهتم الشيخ عمر وإخوانه بالمنحى الجهادي للعمل الإسلامي الفلسطيني في الداخل والخارج، وأخذوا يسبرون آفاقه، ومجالات الإعداد والتدريب. غير أنه كان هناك حرص شديد على السرية وعلى حسن الإعداد، ليتم إنشاء عمل قوي ومتجذر يستطيع الاستمرار والتوسع، حتى لو تعرض للضغوط والضربات. وتعود بدايات التدريب العسكري في الخارج إلى سنة ١٩٨٠. كما كان يجري التواصل مع الداخل ورفد عمله بما يحتاج من دعم وخصوصاً تلك الجهود التي كان يقوم بها الشيخ أحمد ياسين رحمه الله ورفاقه».

وفي مطلع الثمانينات كتب الأشقر رؤية لقضية فلسطين لتكون نواة انطلاق حماس في المستقبل، ولما قام الشيخ أحمد ياسين بتأسيس تنظيم جهادي في غزة سنة ١٩٨٣ كان الأشقر هو واسطة تدبير الدعم المالي لهم.

وحين يعلن عن قيام حركة حماس وتتكون هيئاتها المؤسسية يتم اختيار الشيخ عمر ليكون أول رئيس لمجلس الشورى العام لها ويبقى في ذلك المكان ١٠ اعوام (١٩٨٩- ١٩٩٩)، ولم تنقطع هذه الصلة بحماس وإن أصبحت في إطار الاستشارة والفتوى، فهو المفتي الأول لحماس، ولخّص خالد مشعل دور الشيخ الأشقر في حماس بقوله في جنازته: كان الشيخ عمر الأشقر أحد أربع مؤسسين لحركة حماس، وذكر منهم الأستاذ سليمان الحمد (أبو محمّد) في الكويت حفظه الله، والمهندس حسن القيق (أبو سليمان) في القدس رحمه الله، وأمسك عن ذكر الرابع. حيث التقت بذرة «حماس» في الخارج برعاية الأشقر والحمد، مع ما بذره الأستاذ حسن القيق وإخوانه في الضفة، وما زرعه ورعاه الشيخ أحمد ياسين في غزة رحمهم الله جميعا.

كان الشيخ الأشقر يتمتع بالبصيرة الثاقبة «في المواقف خاصة في القضايا الحاسمة والحساسة كانت أحد العوامل التي عصمت الحركة وجعلت مواقفها متوازنة دائما»، كما يقول خالد مشعل.

وهذا الدور الجهادي العريق للأشقر فاجأ الكثيرين من الحمساويين والإخوان والسلفيين والإعلاميين، وذلك بسبب زهد الشيخ في الأضواء وبساطته وهدوئه وتواضعه، بحيث لا يظن أن خلف هذا كله مؤسس حركة حماس التي نازلت العدو الإسرائيلي وواصلت حمل راية الجهاد في فلسطين.

لكنه الطفل الذي رأى بلده تُحتل وأهله يشردون، ورأى احتفاء علمائه وشيوخه بالجهاد كما يقول عن رحلة مع الشيخ ابن باز قبل ٤٠ سنة: «وقد حضرت شيخنا الشيخ عبدالعزيز رحمه الله في إحدى رحلاتنا مع الطلبة، فأحضر أحدهم بندقية، فأخذها الشيخ بيديه، وأخذ يتلمسها، ويذكر مقاطعها، ويتغنى بها كأنما هي عروس»!!

وجاءت سنة ١٩٩٠ وكان الشيخ الأشقر في رحلة دعوية في إيطاليا، فجاءه الخبر باحتلال الكويت، وهنا تنتهي رحلته مع الكويت، ذلك البلد الذي أحبه بعد أن فقد بلده فلسطين واعتبره وطنه لما لقي فيه من تكريم ومحبة ولما لقيت دعوته من قبول وانتشار، ولكن إرادة الله غالبة ولعل له حكمة في انتقال جديد للشيخ إلى عمّان.

الانتقال إلى الأردن:

الذي دعا الشيخ لترك الكويت وعدم البقاء بها، مطاردة البعثيين له، لأنهم كانوا حانقين على الشيخ لعدم تلبيته دعواتهم لزيارة العراق أو قبول حضور مؤتمرات دعم صدام حسين، ومن هنا لما كثر بحث القوات العراقية عنه في الكويت والسؤال عنه قرر مغادرة الكويت، بعد أن عاد لها من إيطاليا – إذ كان في مؤتمر إسلامي هناك- عبر الأردن وبغداد، فقفل راجعاً بزوجته وأصغر أولاده إلى عمان.

في الأردن عاد الشيخ لرسالته الرئيسية وهي التعليم، فعين أستاذاً بالجامعة الأردنية مباشرة (١٩٩٢- ٢٠٠٢)، وفي الجامعة الأردنية كان للشيخ بصمات واضحة فقد قام بإكمال بعض النواقص، مثل: شرح قانون الأحوال الشخصية الأردني، وإنقاذ مادة الأسماء والصفات ومادة القضاء والقدر، من الحذف لعدم إقبال الطلبة عليهما، فأصبحت شعبة الشيخ مليئة بالطلبة، وصنف لها كتابه (أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة)، وقد كان الشيخ يحب تدريس العقيدة برغم تخصصه في الفقه وأصوله، وكان تأثير الشيخ عمر على الطلبة ونشر معتقد أهل السنة تأثيرا واضحا وبينا، وأشرف الشيخ على عدد من رسائل الدكتوراه والماجستير فيها.

تم إبعاد الشيخ من الجامعة الأردنية مع عدد من الأساتذة ذوي الخلفيات السلفية، ثم عاد جميع المفصولين باستثناء الأشقر، وكل هذا كان بتحريض من المتشيع حسن السقاف الذي ألب الأمير غازي على السلفيين، وكان السقاف قد رد على الشيخ عمر بمذكرة تافهة بعنوان (تنبيه أهل الشريعة إلى ما في كتب الأشقر من الأخطاء الشنيعة)، وقام السقاف من غبائه بإرسال نسخة منها للشيخ ابن باز! والذي أرسل خطاباً بتاريخ ١٤١١/١١/٣٠هـ للشيخ عمر يطلب منه الرد عليه بما يناسب، مما يكشف لنا عن عمق الصلة ودوام التواصل بين الشيخين، وقد أهمل الشيخ الكتاب وكاتبه فلم يرد عليه، وقد كان هذا الإهمال أشد عليه من الرد! ومن إنصاف الشيخ أنه قرأ الكتاب بحثاً عن الصواب، فلم يجد فيه إلا تنبيهاً على خطأ في عزو حديثين فصوّبهما الشيخ في الطبعات اللاحقة.

بعد ذلك قرر الشيخ التفرغ للتأليف، لكن الدكتور إسحاق الفرحان أرسل للشيخ من يطلب منه إنقاذ كلية الشريعة بجامعة الزرقاء الأهلية من الإغلاق بتولي عمادة الكلية التي شغرت وليس

هناك من يتولاها، فرفض الشيخ في البداية ثم وافق على أن يكون ذلك لعام دراسي واحد تتدبر الجامعة بها أمرها، ثم مدد الشيخ سنة أخرى، وكان للشيخ تأثير كبير على الكلية والطلبة، بعلمه وخلقه، ولعل القصة التالية تلخص تأثير الشيخ في طلابه، إذ بينما بعض الشيوخ والدكاترة في مكتب الشيخ عمر الأشقر بكلية الشريعة، فوجئوا بدخول فتاة غير محجبة وهي تحمل وردة وتقدمها للشيخ!

وقد تبين أن هذه الفتاة قطفت هذه الوردة من حديقة الكلية لتعبّر بها عن شكرها وتقديرها لإنصاف وعدل الشيخ الأشقر حين أعطاها ما تستحقه من درجة مرتفعة في مساق مادة الثقافة الإسلامية بغض النظر عن مدى التزامها بالحجاب الشرعي. هذه الحادثة تكشف عن منهجية الشيخ في دعوته إلى الله عز وجل، والتي تقوم على ركني العلم والرفق، وهذا يَعلمه كل المحيطين بالشيخ أو المتابعين لكتبه ونشاطه.

ترك الشيخ جامعة الزرقاء بعد أن قضى فيها سنتين (٢٠٠٣- ٢٠٠٥) وتفرغ للتأليف، وفعلا أصدر عددا من الكتب والأبحاث المهمة من أبرزها كتابه في التفسير والذي سيطبع قريبا، حيث فسر فيه ١٨ جزءاً من القرآن.

أيضاً كان الشيخ عضوا بمجلس الإفتاء الأردني لمدة عشر سنوات خلال الفترة ١٩٩٠ - ٢٠٠١م، وكان له دور علمي مع قيادة الإخوان المسلمين، إذ كانت فتواه بجواز المشاركة في الحكومة الأردنية هي المستند لحسم الخلاف في الجماعة حول ذلك، وقد تخفف من مسؤولياته في حركة حماس حين استقر بالأردن وبقي مفتيا لها ومستشارا.

وقد كانت للشيخ مشاركات على بعض القنوات الفضائية ولم يكن مكثراً منها، لأن الشيخ كان يحب الحوار المباشر مع الناس، ولا ينسجم بالحديث مع نفسه والميكرفون، ولذلك قلت مشاركاته بالإذاعة، وكان أول برنامج له على القنوات برنامج (متن وسند) على قناة المجد، وهذا يدلنا على سعة علم الشيخ وأنه ليس منحصراً في باب من أبواب العلم، فكتبه في العقيدة من أقوى الكتب، وكتبه في الإخلاص والتزكية في المرتبة العليا، ودراساته الفقهية والأصولية مشهود لها، وكتاباته في المنهج والتنظير للدعوة في غاية المتانة، وهذا برنامجه في الحديث وهكذا في أبواب متعددة أخرى.

في الأردن لم يأخذ الشيخ بعداً جماهيرياً كالكويت، بسبب قلة معرفة الناس به، وطبيعته المحبة للهدوء والبعد عن الأضواء، لكنه كان لا يرد أحدا يرغب بمقابلته أو دعوة لإلقاء محاضرة أو درس.

الشيخ في بيته:

يحدثنا ابنه الدكتور أسامة عمر الأشقر فيقول: «على مستوى العائلة تجد الوالد رحمه الله متسقاً مع أخلاقه وصفاته الكريمة في خارج البيت، والد حنون، وصديق وفي، أحببناه من شغاف قلوبنا، إليه ترجع العائلة في أمورها، يتجاوز إن أسأنا بغير قصد، الجلوس معه متعة من متع الدنيا، يبث فينا أطايب الحديث، كذلك يمدنا دوما بتجاربه وخبراته، يلاطف أحفاده الصغار كأنه واحد منهم يعطف عليهم ويحنو، ويزورهم حين المرض ويتابع حالتهم عبر الهاتف بشكل مستمر، أما الكبار فأحلامهم أحلام له، مشاكلهم تضاف إلى مشاكله، رحمه الله لم يكن يضن عليهم لا بمال ولا بنصح، ولا يتبرم من تصرفاتهم إن أخطأوا، لقد آثر على نفسه كثير، يجمع العائلة من أطرافها ولم يكن يوما سبباً في فراقها، وهكذا دواليك تجده المرجع على مستوى العائلة الأكبر في حل مشاكلها، حقاً ودون مبالغة طراز فريد من الآباء قلما تجده هذه الأيام وليس هذا المكان لبيان المواقف والتفاصيل الخاصة.

في البيت تجده رحمه الله حريصاً جداً على استغلال وقته، إلا أن القراءة والكتابة أخذت الجزء الأكبر من وقته من دون أن يؤثر ذلك على التزاماته الأخرى، ذلك أنه رحمه كان يحسن

توزيع وقته بطريقة غريبة، فقد يقضي في قراءة الكتب وتأليفها ما يزيد عن عشر ساعات يومياً، لكن ذلك لا يصده عن الجلوس مع أبنائه وأحفاده، وإن جلس مع العائلة تجده شخصاً آخر انقطع عن مشاغله وهمومه، وانشغل بهموم العائلة وأفرادها واحداً واحداً، وينال الأحفاد الصغار من اهتمامه ما للكبار، ولزواره – وهم كثر- كذلك وقت خاص، ولزيارة الأقارب والأصدقاء وقت عنده رحمه الله، وكان رحمه الله يحب اللقاء بالناس في مجالسهم، لكن هذه المجالس تتحول في وجوده من مجالس دنيا لمجالس تأنس فيها بالقصص والمواعظ والعبر والطرائف، أما المكالمات الهاتفية للمستفتين فكانت دائماً تقاطع أوقاته أثناء التأليف أو النوم أو الأكل وكانت المكالمات كثيرة جداً وتصل أحياناً لدرجة الإزعاج، وكان رحمه الله يحاول أن يجيب على كثير منها، ولكثرتها كان رحمه يختصر الإجابة ويجعلها مركزة، للاستفادة من الوقت ولإتاحة المجال لباقي المستفتين فيما يتيسر له من وقت.

أيضاً كان رحمه الله يخصص وقتاً للنزهة والاستجمام لساعات محددة خاصة في يوم الجمعة، لكن ليس للابتعاد عن الناس وإنما كان يحب أن يجتمع فيها مع مجموعة من أصدقائه وعائلاتهم ولا يخلو ذلك من الاستفادة العلمية والدعوية في مثل هذه اللقاءات». ا.هـ

وقد رافقتُ الشيخ في نزهة قبل وفاته بأقل من سنة لمزرعته، حيث دعاني الشيخ والأستاذ إياد القيسي من العراق والدكتور فاروق الشمري من البحرين، وكم ألححت عليه أن نذهب بسيارتي فرفض، فعرضت عليه أن أقود السيارة بدلا منه فرفض، وكان يرى هذا من إكرام الضيف، وهناك أيضاً كان بشق النفس يقبل أن أخدمهم وأنا أصغرهم، رحم الله الشيخ رحمة واسعة.

مرضه ووفاته:

تعب الشيخ في آخر سنتين من حياته وبعد عدة فحوصات تبين أنه مصاب بالسرطان، فتقبل ذلك راضيا شاكراً، وقد عُرض عليه العلاج بالخارج فرفض، وعُرض عليه العلاج بالنووي والكيماوي فرفض في البداية، وتعالج بالطب البديل، ثم تعالج بالكيماوي.

وكنتُ كلما زرته صبّرنا ورضّانا بقضاء الله وقدره بدلا من أن نكون نحن من يفعل هذا، وقد زرتُه قبل وفاته وكان لا يستطيع مغادرة السرير، فوجدته حريصاً على السؤال عن أحوال إخواننا من اللاجئين السوريين ويتابع بهمة قضايا المسلمين، وقد تبرع للاجئين السوريين عدة مرات وكلفني بتوصيلها من خلال جمعية الكتاب والسنة.

قُبض رحمه الله يوم الجمعة الموافق ٢٢ رمضان عام ١٤٣٣هـ في عمّان في العشر الأواخر المباركة عن عمر يناهز ٧٢ عاماً، وغُسل بماء زمزم، ولعل ذلك فأل خير بحسن الخاتمة إن شاء الله، وقد شهد جنازته ألوف المسلمين واجتمع فيها كافة التيارات الإسلامية فقد كان نقطة التقاء في حياته ومماته رحمه الله.

مراجع للتوسع:

- صفحات من حياتي، د. عمر الأشقر، دار النفائس، عمان، ط ١، ٢٠٠٩.
- الأستاذ الدكتور الشيخ عمر الأشقر، د. أسامة عمر الأشقر، منشورات رابطة علماء الأردن، ط١، ٢٠١٣.
- قراءة في الدور الدعوي والحركي للعلامة الأشقر، د. محسن صالح، مقال بشبكة الإنترنت.
- كلمة الأستاذ خالد مشعل، والشيخ أبو قتيبة محمد عبد العزيز، والشيخ أبو العالية، في تأبين الشيخ الأشقر، موقع يوتيوب.

الوجه الآخر

١- علي شريعتي

هيثم الكسواني(*) - خاص بـ «الراصد»

[سلسلة تتناول شخصيات شيعية معاصرة إلتبست حقيقتها على أهل السنة، فتكشف عن المجهول من معتقدها وفكرها، ونظرتها إلى السنة وأهلها]

يُعتبر الدكتور علي شريعتي أحد الشخصيات الشيعية المعاصرة التي الْتبست حقيقتها على أهل السنة، (وعلى الشيعة كذلك) والسبب الرئيس في ذلك يعود إلى:

١- الانتقادات الشديدة التي وجهها شريعتي إلى التشيع وما فيه من خرافات، وإلى رجال الدين الشيعة، وما هم عليه من انحراف واستغلال للدين.

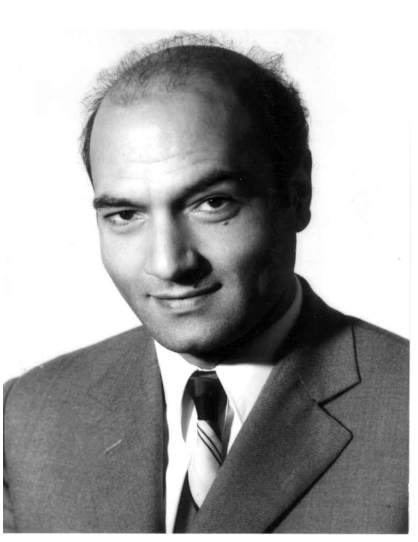
٢- السخط الذي كان يبديه تجاه الصفويين الذين جعلوا من إيران دولة شيعية في بدايات القرن العاشر الهجري (١٦م)، والدعوة إلى إزالة ما أضافوه على التشيع من أفكار ضالة ومتطرفة.

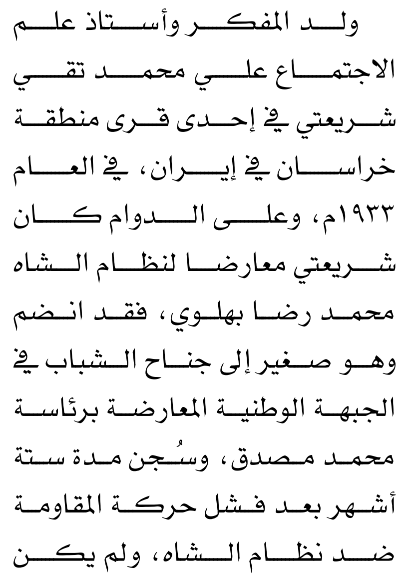
٣- بعض العبارات الإيجابية التي كان يقولها بحق بعض الصحابة أو الدول الإسلامية أو علماء أهل السنة وقادتهم بخلاف ما عليه معتقد الشيعة.

٤- دعوته إلى الوحدة الإسلامية، والتقريب بين السنة والشيعة.

وفي هذا المقال اقتراب أكثر من شخصية شريعتي، ودراسة لموقفه من الدين، ومنطلقاته الفكرية في نقد التشيع، والزاوية التي كان ينظر إليها إلى التشيع وطقوسه وعلمائه.

أولاً: حياته ونشأته





ولد المفكر وأستاذ علم الاجتماع علي محمد تقي شريعتي في إحدى قرى منطقة خراسان في إيران، في العام ١٩٣٣م، وعلى الدوام كان شريعتي معارضا لنظام الشاه محمد رضا بهلوي، فقد انضم وهو صغير إلى جناح الشباب في الجبهة الوطنية المعارضة برئاسة محمد مصدق، وسُجن مدة ستة أشهر بعد فشل حركة المقاومة ضد نظام الشاه، ولم يكن شريعتي آنذاك قد تخرج من الجامعة.

وفي عام ١٩٥٨م، تخرج علي شريعتي من كلية الآداب بالجامعة، وفي العام التالي، أُرسل في بعثة إلى فرنسا لإكمال دراسته العليا، فحصل فيها على درجة الدكتوراه في علم الاجتماع الديني، كما حصل على

(*) كاتب أردني.

دكتوراه أخرى في تاريخ الإسلام. وهناك استمر في نشاطه المُعارض لنظام الشاه، وأسس فرع أوروبا لـ (حركة تحرير إيران).

وفي منتصف الستينيات من القرن الماضي عاد شريعتي إلى إيران، فاعتُقل فور وصوله، لكن أُفرج عنه بعد فترة، وعُيّن مدرسا في جامعة مشهد، وإزاء انتقاداته المتكررة لنظام الشاه ونشاطه السياسي والفكري تم نقله إلى منطقة نائية في إيران معلما في المدارس الابتدائية، لكن سرعان ما تم إعادته، لكن إلى العاصمة للعمل في جامعة طهران، ليكون قريبا من سمع السلطة وبصرها.

وفي سنة ١٩٧٣ أغلقت السلطات الإيرانية (حسينية الإرشاد) التي ساهم شريعتي في تأسيسها سنة ١٩٦٩م، واتخذها منطلقا لمحاضراته ونشاطه، وقامت باعتقاله، هو ووالده، لمدة عام ونصف، ثم أفرجت عنه بعد وساطة جزائرية، وسُمح له في مايو/ أيار من العام ١٩٧٧م، بالسفر إلى لندن، لكن بعد أقل من شهر عُثر عليه ميتا في شقته هناك، ولم يُسمح لجثمانه بأن يُدفن في إيران، فوافقت السلطات السورية - التي كانت على خلاف مع نظام الشاه – على أن يُدفن فيها، ودُفن – كما تمنى- بجانب ضريح السيدة زينب في دمشق[١].

ثانيا: توجهاته ونشاطه

يوصف شريعتي بأنه «ملهم الثورة الإيرانية» رغم أنه لم يشهد قيامها في شباط/ فبراير من سنة ١٩٧٩م، إلا أن أفكاره ومحاضراته وكتاباته الثورية كان لها الأثر الكبير في إلهاب حماس الجماهير الرافضة لنظام الشاه، الأمر الذي حقق لشريعتي شعبية كبيرة داخل إيران، خاصة بين الشباب، ما جلب عليه نقمة نظام الشاه، الذي قام في فترات مختلفة بسجن شريعتي وتعذيبه ونقله من عمله ووضعه تحت المراقبة ومنعه من ممارسة العمل السياسي، ثم اغتياله (كما يُعتقد) في لندن.

وفي المقابل، وبحكم ثقافته الماركسية (وهو ما سنفصل فيه بعد قليل) فإن شريعتي ناصَب رجال الدين الشيعة العداء، وبيّن ما هم فيه من ضلال وانحراف واستغلال للدين، ما أدى إلى نقمتهم عليه أيضا، فأصدروا (مثل مرتضى مطهري) الفتاوى بضلاله وتكفيره ولعنه، حتى امتد التكفير إلى حسينية الإرشاد التي أطلقوا عليها وصف (كفرستان) أي: معقل الكفر[٢].

إلا أن بعض رجال الدين (مثل الخميني) كان يتحاشى انتقاد شريعتي لمعرفتهم بشعبيته الواسعة، ودوره في معارضة نظام الشاه، في حين أن مجموعة أخرى منهم (وإن كانوا قلة) كانت تؤيد شريعتي، وتدافع عن أفكاره، وترى أن ما يوجهه للدين من انتقاد في حقيقته موجّه ضد الممارسات الخاطئة التي تُرتكب باسم الدين، وليس للدين نفسه.

ومن أبرز هؤلاء الذين دافعوا عن شريعتي: محمود الطالقاني، الذي يُعتبر من رموز الثورة الإيرانية، والذي يقول: «كل يوم... كنّا نشهد معركة ضد شريعتي في أحد أحياء العاصمة. لقد شنّوا عليه حملات ظالمة مستمرة. كنّا نقول لأولئك المتحاملين: ماذا حدث؟ اذهبوا واسمعوا آراءه وناقِشوه، وقدّموا له الردّ الذي تريدون. لكن الأمر كان يجري على نحو آخر، إذ كان البعض يقتطع جملة أو فقرة من كتابٍ له، ويستخدمها لتشويه فكر شريعتي والتحريض ضده»[٣].

ويقول الطالقاني أيضاً : «... إن المرحوم شريعتي تميز بروحٍ مستقصية شكّاكة منذ بداية شبابه وأوائل عهده بالدراسة والتحصيل العلمي. كان يشكّ بكل شيئ، حتى بدينه؛ فقد كان يشكّ بالدين السائد بين الناس، أي بذلك الإسلام الممسوخ، ذلك الإسلام الذي حُوّل إلى دكان للارتزاق، ووسيلة للاحتراف وتربية (المريدين).

(١) د. علي شريعتي، التشيع العلوي والتشيع الصفوي، ترجمة حيدر مجيد، دار الأمير، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، ومعظم المعلومات السابقة عن شريعتي مستقاة من تقديم للكتاب بقلم د. إبراهيم دسوقي شتا.

(٢) ريم نجيب، مقال «علي شريعتي: الإسلام والماركسية، هل هذا ممكن؟»، موقع أخبار الأدب، ٢٠١٢/٨/٣.

(٣) د. علي شريعتي، مصدر سابق، فصل: قالوا في شريعتي، ص ١١.

كان لابد لشاب واعٍ مثل شريعتي أن يبدأ بالشك، لكنه لم يبقَ أسير الشك... بدأ بالدراسة، بحث في الأصول، قرأ في المناهل الأولى... فتوسعت آفاق فكره، حتى بلوَر مفهومه عن إسلام ثوري حي...»[1].

ثالثا: وجهه الآخر

والحقيقة فإن موقف شريعتي من الدّين لم يلتبس على أهل السنة فقط، بل إن الشيعة وعلماءهم أنفسهم اختلفوا في أمره، لأنه - من جانب – كان يدعو إلى الإسلام ويحث الناس على التمسك به ويؤلف فيه الكتب، ويطالب بتنقية التشيع مما فيه من انحطاط وغلو وخرافة، ومن جانب آخر يتبنى الاشتراكية والماركسية ومناهجها وأدواتها في التحليل والفهم.

ثمة من يجيب على هذا التناقض بالقول بأن شريعتي «لم يرَ قط تناقضا بين كونه مسلما مؤمنا، وكونه اشتراكيا»[2]، وبأن الإسلام الذي يرغب شريعتي العودة إليه هو إسلام تقدمي واحتجاجي[3]، وبأنه «كرس حياته لمهمة إدماج الاشتراكية مع المبادئ التقدمية الموجودة في المذهب الشيعي»[4].

اشتراكيته

أما بداية اعتناق شريعتي للاشتراكية فيُعتقد أنها جاءت نتيجة للتأثر بجماعة (نهضة الموحدين الاشتراكيين) «نهضت خدابرستان سوسياليست»، التي أسسها الدكتور محمد نخشب (١٩٢٣- ١٩٧٦) بمعية حسين راضي، وهم شباب متدينون ذوو نزعة اشتراكية، وانصب اهتمام نخشب وجماعته على الأبعاد الأخلاقية والإنسانية في الدين، وعمل على إنتاج قراءة إسقاطية للنص والماضي والتراث، فخلع عليه صورة اشتراكية، وكان يحسب أن الاشتراكية الانسانية العملية تجسدت في صدر الإسلام.

ونتيجة للصراعات الداخلية وضغوطات السلطة اضطرت الجماعة إلى تغيير اسمها إلى: جمعية حرية الشعب الإيراني «جمعيت آزادي مردم إيران»، وقد أسس كاظم سامي وعلي شريعتي في مدينة مشهد فرعا للجمعية[5].

وتزوج شريعتي أخت قائد طلابي معروف، وعضو في حزب «توده» الشيوعي كان قد قُتل في مظاهرات جامعة طهران سنة ١٩٥٣[6].

وعندما انتقل شريعتي للدراسة في فرنسا، راح يتردد على الأوساط اليسارية[7] ويُصادق الاشتراكيين الجزائريين أمثال الرئيس الجزائري السابق هواري بومدين، ويتابع صحف اليسار أو تلك التي تدعم القضايا اليسارية، ويترجم كتب اليساريين مثل «حرب العصابات» لإرنستو تشي جيفارا، ومن هنا جاءت الوساطة الجزائرية لتنقذه من السجن لاحقاً.

وبعد عودته من فرنسا، تعرف شريعتي على أعضاء حركة «مجاهدي خلق»، وهي حركة ماركسية مسلحة مناهضة للشاه. وقد أبدى شريعتي إعجابه بفكرهم رغم اختلافه معهم في بعض النقاط. وفي المقابل كانت محاضرات شريعتي تصب في صالح نشاط وأفكار الحركة وساهمت في توسيع عضويتها[8].

وبدأ شريعتي ينظر إلى الإسلام وفق منهجه الماركسي، ويفسره حسب مفاهيم الماركسية من صراع وطبقات وثنائيات، وبحسب تعبير د. الرفاعي: «استلهم شريعتي القواعد الأساسية للماركسية، وأقام عليها بناء

(١) المصدر السابق، ص ٩.

(٢) ريم نجيب، مصدر سابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) د. وليد محمود عبد الناصر، الإسلاميون التقدميون .. عن وجه آخر للفكر والسياسة في إيران، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بصحيفة الأهرام، القاهرة، ٢٠٠٨م، وأيضا: عرض للكتاب في مجلة السياسة الدولية - يوليو ٢٠٠٨.

(٥) عبد الجبار الرفاعي، مقال: اختزال الدين في الأيديولوجيا، صحيفة المثقف الالكترونية.

(٦) ريم نجيب، مصدر سابق.

(٧) ولي نصر، صحوة الشيعة، وأيضا: مقتطفات من الكتاب بموقع الراصد نت (نافذة: من بطون الكتب)، على الرابط التالي:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=5587

(٨) ريم نجيب، مصدر سابق.

إسلاميا. كل أولياته ومبادئه ماركسية، ولا يمكن العثور لديه على رؤية إسلامية عميقة»[١].

ويؤكد نصر ولي على الفكرة السابقة، ويقول: «كان شريعتي جيد الإلمام باللاهوت والتاريخ الشيعي، لكن نظرته إلى العالم كانت من صياغة العقيدة الماركسية والنظرية العالمثالثية اللتين تعرّف إليهما في باريس. لقد اقتنع بالأفكار الماركسية وآمن بالصراع الطبقي والثورة واليوتوبيا الشيوعية. كتب عن الإسلام بمصطلحات ماركسية واضحة: «لألفٍ وأربع مئة سنة خلت، تبع نفرٌ قليل من العبيد وباعة التمر ومربّي البعير والشغّال دين محمد. أما اليوم، فهم العمال والفلاحون والتّجار والموظفون والطلاّب من يجب عليهم أن يُحبوا هذا الدين من جديد»[٢].

بدأ نَفَس شريعتي الاشتراكي مبكرا، وذلك من خلال روايته التي ترجمها عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، فعندما كان شريعتي في العشرين من عمره بدأ رحلته الفكرية بترجمة رواية مصرية للكاتب عبد الحميد جودة السحار عن أبي ذر إلى الفارسية ونشرها عام ١٩٥٦ بعنوان «أبو ذر الغفاري: الاشتراكي المؤمن». أو «أبو ذر الموحد الاشتراكي» «أبو ذر، خدابرست سوسياليست».

حيث رأى شريعتي في أبي ذر اشتراكيا منتقدا للخلفاء لإسرافهم في ملذات الدنيا. وظلت (اشتراكية) أبي ذر - كما رآها شريعتي- مثلا أعلى له، بشهادة والده بعد مماته. ووصفه مريدوه فيما بعد بأنه «أبو ذر إيران الحديثة»[٣].

وأكثر شريعتي من استخدامه للأدوات الماركسية في تحليل التراث الإسلامي بما لا يمت إلى النص بصلة، وامتد منهجه (الماركسي الاشتراكي) إلى تفسير آيات القرآن، فأسقط المادية التاريخية على القصص القرآني، كما فعل عندما حلل قصة ابني آدم بأنها صراع بين النظام الزراعي، والملكية الخاصة والفردية متمثلة بقابيل، ضد رعوية اشتراكية يمثلها هابيل، وأن هذا الصراع الطبقي يتكرر في كل المجتمعات بنتيجة حتمية تاريخية واحدة هي انتصار العدل[٤].

وكذلك نظر إلى الآيات القرآنية المتعلقة بقصص الأنبياء، إذ فسرها تفسيرا ماركسيا طبقيا، إذ يقول: «إن الله وهو يروي لنا قصص الأنبياء، فإنه يقسم المجتمعات التي حدثت فيها ثورات الأنبياء إلى طبقات حاكمة ومستغلة من جهة، والناس من جهة أخرى. أما الله فهو يصطف دائما مع الناس في هذا الصراع»[٥].

يمكن القول بعد كل ذلك بأن شريعتي لم يكن يفهم الدين فهما ماركسيا فقط، أو أنه استعمل الماركسية لتحليل الدين، بل إن هناك من يشير إلى ما هو أخطر من ذلك وهو أنه استعمل الدين والتشيع لتمرير الأفكار الماركسية كي تكون مقبولة عند الناس «بالنسبة إلى شريعتي، التحدّي هو كيف السبيل إلى ترجمة الأفكار الماركسية إلى رموز ثقافية يُمكن للجماهير الشعبية أن تلتصق بها. بعبارة أخرى: كيف نجعل نزول ماركس إلى تحت أكثر سهولة من خلال إعطائه صبغة شيعية؟»[٦].

نظرته للسنة

لا يرى شريعتي - بداية- صواب منهج أهل السنة، بل يعتقد بصواب مذهب الشيعة وأحقيته بالاتباع، كما يتضح من قوله: «إن الخلاف بين الشيعة والسنة هو في الأساس خلاف فكري وعلمي وتاريخي يرتبط بطريقة فهم حقيقة الإسلام، وكل ما يدّعيه الشيعة في هذا المجال – وهو ادّعاء وجيه – أنه ينبغي لمعرفة حقيقة الإسلام الاقتداء بأهل بيت النبي وعلي (ع) لأجل أن تكون المعرفة مباشرة ومن دون واسطة، وهذا بحدّ ذاته كلام معقول، كما يدّعي الشيعة أن مواصلة طريق

(١) عبد الجبار الرفاعي، مصدر سابق.
(٢) نصر ولي، مصدر سابق.
(٣) ريم نجيب، مصدر سابق.

(٤) وليد الشرهان، مقال «علي شريعتي واللعبة الصفوية»، مجلة المجلة، ٢٠١٣/٤/٣٠.
(٥) فاضل رسول، هكذا تكلم علي شريعتي، دار الكلمة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧، ص ٣٧.
(٦) نصر ولي، مصدر سابق.

الرسالة وروحها بعد النبي مرهونة باتباع علي (ع) والاعتراف به خليفة بعد النبي دون غيره ممّن عجزوا عن مواصلة الرسالة بروحها حتى آل أمر المسلمين إلى ما آل إليه مما يعرفه الجميع»[1].

موقفه من الصحابة

أما موقفه من صحابة النبي ﷺ فلا يكاد يختلف عن بقية الشيعة، فهو لا يرى في الصحابة (الذين رضي الله عنهم وأثنى عليهم وارتضاهم لصحبة نبيه) إلا مجرد مجموعة من ذوي المصالح، المنحرفين والبعيدين عن الدين والمبادئ، والمتآمرين على الإسلام، والغاصبين لحق علي في الخلافة، ولذلك نجده يردد أكاذيب الشيعة بحق الصحابة كما في قوله:

«الفارق الجوهري بين خط علي وخط أبي بكر يتمثل في هذه النقطة؛ مراعاة المصالح أم المبادئ. في منهج أبي بكر لابدّ من إعطاء شيء لعبد الرحمن بن عوف لكبح جماح شغفه العارم بالأموال! وهو بلا شك شخصية ذات نفوذ ومن قبيلة فيها رجال أصحاب وزن وتاريخ من أمثال سعد بن أبي وقاص، لذا يجب العمل على إرضائه لكي لا يتسبب في إيقاع بلبلة ومشاكل...

أما خالد القائد الذي قَتل مالك بن نويرة وضاجع زوجته الفاتنة في نفس الليلة، فلا بدّ أيضاً من كسبه أو تحييده على الأقل، فهو قائد عسكري مرموق ومقاتل بطل، ولا ضرورة لإقامة الحدّ عليه، بل في ذلك خطورة، والفرق كبير جدا بين أن يكون خالد معنا أو أن يكون ضدّنا!» [2].

وعلى الرغم من موقفه هذا تجاه الصحابة، الذي يوافق معتقد الشيعة، إلاّ أن شريعتي ينكر على الشيعة سبّ الصحابة ولعنهم، لأن عليّا كره لأصحابه أن يكونوا لعّانين، ونجد شريعتي في بعض كتبه يورد ثناء علي على الفاروق عمر رضي الله عنهما (مع خلط ذلك بالمعتقد الشيعي إزاء الصحابة والإمامة)، يقول شريعتي:

«إن منطق عليٍّ لم يسوغ له الإساءة إلى عمر والتقليل من شأنه، بالرغم من إهدار حقوقه وجعله حبيس الدار بتواطؤ سياسي بين عمر وأبي بكر، بل إنه لم يتنكّر للخدمات التي قدّمها عمر للدولة الإسلامية لأنه لا يريد أن يغمط حق الرجل على خلفية أخذ الخلافة منه بغير حق»[3].

موقفه من علماء السنة

يثني شريعتي أحيانا على بعض أئمة أهل السنة أو علمائهم، وعند العودة لهذه الأسماء يتبين أنها تتركز غالبا في العلماء الذين تساهلوا تجاه التشيع أو الناشطين في مؤتمرات التقريب بين السنة والشيعة أمثال: شيخ الأزهر السابق عبد المجيد سليم، وشيخ الأزهر السابق محمود شلتوت الذي أفتى بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية، وأنه كسائر المذاهب السنية الأربعة.

وفي هذا الصدد يثني شريعتي على الخطوات التي اتخذها الشيخ شلتوت تجاه مذهب الشيعة، ويقول: «كان الشيخ شلتوت قد أصدر فتوى بجواز العمل بالمذهب الجعفري أو العدول من المذاهب الأربعة إليه! مضافا إلى دوره في إدخال الكثير من الأحكام والفتاوى الشيعية في القانون المدني المصري مثل عدم قبول الطلقات الثلاث بلفظ واحد، ... هذا هو أنموذج من المنطق المعتدل المنصف الذي يعدّ من سمات التسنن المحمدي كما هو سمة بارزة من سمات التشيع العلوي...»[4]. كذلك يثني شريعتي أحيانا على بعض علماء أهل السنة الذين يمدحون أهل البيت.

موقفه من الدول الإسلامية

يعتقد شريعتي، كالشيعة، أن الدول الإسلامية السنية كلها دول ظالمة وفاسدة ما دامت لم تقم على مفهوم الإمامة الشيعي، إذ يرى أنها قامت باغتصاب حق علي وبنيه في الحكم، فيقول: «تمكن جميع المستكبرين وطواغيت الزمان وأصحاب البيوتات من

(١) التشيع العلوي والتشيع الصفوي، مصدر سابق، ص ٧٦ - ٧٧.
(٢) المصدر السابق، ص ٥٢.
(٣) المصدر السابق، ص ١١٦ – ١١٧.
(٤) المصدر السابق، ص ١١٦.

العرب والعجم والترك والمغول والتتار من بلوغ سدة الحكم والاستواء على مسند خلافة النبي ما عدا آل النبي وأهل بيته من أئمة الحق والهدى»[١].

ويقول مثلا عن الدولة الأموية: «أما بنو أمية فصحيح أنهم يكنّون عداء تاريخيا للإسلام، وكل المصائب التي جرت على الدين كان لهم فيها اليد الطولى..» [٢]، وعن الدولة العثمانية: «لا ينبغي الشك هنا في أن الحكومة العثمانية كانت حكومة فاسدة، ولم تكن تليق بحمل وسام الحكومة الإسلامية»[٣].

لكن شريعتي – ومِن منطلق سياسي- كان يثني على الدولة العثمانية أن تمكنت من توحيد مختلف الأقوام والأجناس تحت راية الإسلام (بالتأكيد لا يعتقد شريعتي هنا أنه الإسلام الصحيح) وشكلت منها كيانا سياسيا عسكريا منسجما، لمواجهة الخطر الأوروبي، وحماية أراضي المسلمين.

كذلك – ومِن منطلق سياسي كذلك- تمنى شريعتي لو يظهر صلاح الدين مرة أخرى في فلسطين، رغم عدائه للشيعة وأن يجرد خالد بن الوليد (الباغي) سيفه للهجوم على عساكر الروم[٤].

موقفه من الصفويين

يكاد شريعتي يتميز عن بقية الشيعة بنقده الشديد للدولة الصفوية التي نشرت التشيع في إيران بالقوة في بدايات القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، ودعوته إلى إزالة ما أضافته على التشيع من أفكار ضالة ومتطرفة.

إن شريعتي من منطلق فكره الماركسي الثوري، يرى أن الصفويين أساؤوا إلى التشيع إساءة بالغة وتآمروا عليه عندما حوّلوه من مذهب ثوري معارض يرفض الظلم والخنوع إلى مذهب رسمي يحظى بأقصى درجات دعم الدولة والحاكم، ويقول: «وإلى العهد الصفوي، ظلت كلمة الرفض (لا) هي المَعلم الرئيس الذي يميز بين الموالين لأهل البيت وأنصار علي وأتباعه وبين غيرهم»[٥].

ويقول في موضع آخر: «للتشيع حقبتان تاريخيتان، بينهما تمام الاختلاف، تبدأ الأولى من القرن الأول الهجري حيث كان التشيع معبّرا عن الإسلام الحركي في مقابل الإسلام الرسمي والحكومي الذي كان يتمثل في المذهب السني، وتمتد هذه الحقبة إلى أوائل العهد الصفوي، حيث تبدأ الحقبة الثانية والتي تحول فيها المذهب الشيعي من تشيع حركة ونهضة إلى تشيع حكومة ونظام»[٦].

كما يعتقد شريعتي بأن الصفويين أساؤوا إلى التشيع بما أدخلوه عليه من خرافات وغلو، أدت إلى إضعافه، ومنعت الناس من اعتناقه وتقبّله، إذ يرى أنه لا تشابه بين التشيع العلوي (الذي ينسبه الشيعة لعلي) والتشيع في نسخته الصفوية، لكأن شريعتي يقف هنا موقف الداعي إلى التشيع، وهو ما يكرره كثيرا، ويفتخر به بأنه من المنافحين عن التشيع والداعين إليه دائما، ومن الذين يعتقدون بصوابه، يقول شريعتي: «... أما أنا فتشهد جميع آثاري المطبوعة والمسموعة والتي هي الآن في متناول الجميع بأنها كانت تدور في الغالب على محور واحد هو الدفاع عن هذا المذهب. ويعزز ذلك أن أساس نظرتي الفلسفية والاجتماعية تبتني على رؤية شيعية واضحة، وكان أول كتاباتي صدر قبل ثمانية عشر عاما حول (أبي ذر) وآخرها كتاب (الشهادة رسالة الحسين) و(الدعوة رسالة زينب)، وإن ميولي الشيعية واضحة جدا، سواء في هذه الكتب أو في غيرها من القضايا الاجتماعية..» [٧].

(١) المصدر السابق، ص ٢٦.
(٢) المصدر السابق، ص ٥٢.
(٣) المصدر السابق، ص ٦٧.
(٤) المصدر السابق، ص ٦٩.
(٥) المصدر السابق، ص ٢٥.
(٦) المصدر السابق، ص ٦٣.
(٧) المصدر السابق، ص ٨١.

طلاسم العلاقات الإخوانية الإيرانية

بوزيدي يحيى(*)- خاص بالراصد

تأثرت الاتجاهات الإسلامية بمختلف مشاربها والتي شكلت إرهاصات الصحوة بالكثير من مخلفات المرحلة السابقة، وتجلى ذلك في العديد من المظاهر على غرار التطرف والتكفير والانقسامات الكثيرة، وسوء إدارة الخلافات الداخلية، فضلا عن تضارب المواقف من النوازل رغم وجود سوابق تاريخية. هذه العلل داخل جسم الصحوة الإسلامية يمكن فهمها في سياق النمو والتطور الذي لا يخلو من كبوات، إذ لا يمكنها أن تقف على ساقيها وتتقدم دون أن تتعثر بشيء من عوائق المرحلة السابقة، وترتكب أخطاء بمستويات وأشكال مختلفة للعبور إلى أهدافها.

ولعل التطرف والتكفير من بين أبرز تجليات تلك العثرات التي واجهت الصحوة الإسلامية، وقد دخلت في ذلك تأثير عوامل اجتماعية وسياسية، سواء من طرف الحركات الإسلامية أو الأنظمة السياسية فضلا عن مخلفات الاستعمار ومؤامرات الخارج، وإن كانت هذه العوامل تفسر ولا تبرر هذه الظواهر، التي بذلت الكثير من الجهود لاحتوائها وتصفية المجتمعات منها.

وأكبر الأخطاء التي وقعت فيها الحركة الإسلامية خلال هذه المرحلة وبشكل خاص في العقود الثلاثة الأخيرة ولا زالت حتى الآن تعاني منها، موقفها من الطائفة الشيعية التي لم تتنبه لها إلا مؤخرا عقب الثورة السورية، ولكن بعدما مكنتها من نفسها لعقود طويلة.

ومن بين أسوأ آثار هذا التمكين استمرار بعض الزمر داخل الحركة الإسلامية في المنافحة عن إيران وحزب الله ليس في مواجهة إسرائيل وإنما فيما تقوم به إيران والشيعة وحزب الله بحق الشعب السوري على مدار أكثر من ألف يوم، فضلا عن المتشيعين الذين خرجوا من صلب الحركة الإسلامية ويناصبونها العداء الآن، وهذه إشكالية تستحق الكثير من التأمل لفهم أسبابها واستخلاص الدروس منها.

إيران والإخوان: ثنائية الغاية والوسيلة

تكشف مواقف جل الحركات الإسلامية من نجاح الثورة الإيرانية سنة ١٩٧٩ والوفود التي زارت الخميني في منفاه بفرنسا، وبعد نزوله طهران مباشرة عن رؤية مبدئية تنظر للثورة على أنها انتصار للإسلام والمسلمين، وتبجل الخميني وتعتبره من المصلحين المجددين للإسلام.

أهم ما يدلل عليه هذا أن القيادات الإسلامية لم تلتفت في قراراتها ومواقفها للجانب العقدي إطلاقا، وقد يتفهم مثل هكذا موقف من اتجاهات قومية أو يسارية، ولكن عندما تصدر من رموز إسلامية فإنه يدلل على اختلالات كبيرة في فهم أبجديات العلاقة بين الديني والسياسي، رغم أن

(*) كاتب جزائري.

هـذا الموضوع هـو أحـد أهـم القـضايا الـتي يفـترض أن يتميـز بهـا الإخـوان المسلمون بـشكل خـاص عـن غيرهـم، حيـث أولـوا أهميـة كـبيرة للعمـل الـسياسي وضرورة قيام دولة إسلامية.

كمـا أنهـم في إطـار دفـاعهم عـن فلـسطين يركـزون علـى محوريـة البعـد الـديني في تأسـيس الكيـان الـصهيوني وتـأثيره علـى الـسياسات الخارجيـة الأمريكيـة والغربيـة عامـة، غـير أنهـم في الحالـة الإيرانيـة جـرى تحييـد هـذا العامـل والنظـر إليـه في إطـار كلـي دون الالتفـات للحقـائق الموضـوعية والفـوارق الـشاسعة والعميقـة بـين أهـل الـسنة والجماعة، والشيعة.

ورغـم أن الخمـيني كانـت لـه مواقـف مبكـرة كـشفت هـذه الحقـائق ولم يـصغ فيهـا لتمنيـات قيـادات الحركـة الإسـلامية إلا أن الأخـيرة اسـتمرت في نفـس الـنهج، ولم تلتفـت لـذلك حتـى لمـا طـال إخـوانهم «الإخـوان» في سـوريا الـذين نعـتهم الخمـيني «بإخوان الشيطان».

بقـدر مـا تـتسف سياسـات الخمـيني ومواقفـه مـن الإخـوان المسلمين قبـل غيرهـم «الرؤيـة الغائبـة» مـن الأسـاس، فإنهـا تطـرح في الوقـت نفسه تـساؤلات حـول تنـاقض المواقـف الإخوانيـة. فتبعـا لتعـدد العلاقـات «العربيـة- الإيرانيـة» وتقلبهـا تعـددت أيـضا العلاقـات «الإخوانيـة- الإيرانيـة»، إذ لا تختلـف عنهـا كـثيرا، فكـل تنظـيم إخـواني في قُطـر مـا لـه علاقـة خاصـة معهـا، وتـتراوح كمـا عنـد الأنظمـة بـين التحـالف والعدوانيـة، وإذا كانـت الـصراعات والخلافـات بـين الأنظمـة العربيـة مـبررا لفهـم طبيعـة العلاقـة مـع طهـران غـير أن تنـاقض المواقـف الإخوانيـة - الـتي تحمـل نفس الأفكار- مفارقة لا أساس منطقيا لها.

بـل حتـى إيـران نفـسها ربمـا لا تـستطيع أن تفهـم الـسبب الـذي يجعـل قـادة الإخـوان في المنطقـة رقـم (٢) لا يتعـاطفون مـع إخـوانهم في المنطقـة رقـم (١)، فـلا يوجـد أي مـبرر شـرعي أو أخلاقـي أو سياسـي لهـذه الحالـة الـشاذة والغريبـة، فجماعـة واحـدة نـصفها يُقتـل ويعـذّب ويـشرّد، ونـصفها الآخـر يبـارك القاتـل ويتبـادل معه التهاني والتبريكات.

بـل إن رجـلا مثـل طـارق الهـاشمي يُـستقبل في قطـر والـسعودية وتركيـا، ولا يُـستقبل في مـصر وتـونس (خـلال حكـم الإخـوان)! بـل علـى العكـس تقـوم تـونس باسـتقبال حـزب الله وممثلـي الـولي الفقيـه وأيـديهم تقطـر مـن دمـاء أهـل الـسنة في دمـشق وبغداد![1]. وهو نفس سلوك إخوان الجزائر.

ولا نجـد غـير الحـسابات الداخليـة كعامـل يـؤثر ويوجـه هـذه العلاقـات، فالقـضية الفلـسطينية لم تكـن الـسبب الوحيـد الـذي يجمـع إيـران بالحركـة الإسـلامية، والتأسـيس عليـه لتحييـد كـل الخلافـات، ففـي التفاصـيل هنـاك قـضية أخـرى تجمـع الطـرفين تتمثـل في معارضـة الكـثير مـن هـذه الحركـات للأنظمـة الـسياسية في أوطانهـا، وكانـت تـستثمر في المواقـف الإيرانيـة المؤيـدة للقـضية الفلـسطينية وتوظفهـا في معركتهـا الداخليـة، علـى حساب القـضية نفـسها والتنظيمـات المشابهة لهـا كمـا سبق الإشـارة، ولا يعـني هـذا بالـضرورة أنـه كـان عـن سـوء نيـة أو قـصد، ولكـن التركيـز علـى تغـيير الأنظمـة واسـتغلال كـل الطـرق لتحقيـق ذلـك الهـدف جعـل الإخـوان لا يلتفتـون لمآسـي أقـرانهم، ويقللـون مـن أهميتهـا ودلالاتهـا، أو يعتـبرونهم مخطـئين وأن المصلحة تقتضي التحالف مع إيران على الأقل.

سياسة النأي بالنفس عن التشيع

دافـع الإخـوان عـن مـوقفهم هـذا بـأن القـضايا الخلافيـة قديمـة ولا يمكـن بـأي حـال مـن الأحـوال إنهاءهـا، ولـذلك بـدل الانـشغال بمواضيع عقديـة كـل مـا سـينتج عنهـا المزيـد مـن الـشقاق فـإن الأولى مـن ذلـك محاولـة احتواءهـا مـن خـلال الحـوار بـين المـذاهب والتقريـب، وبـالموازاة مـع ذلـك العمـل والتعـاون سياسـيا لمجابهـة الخطـر الـصهيوني الـذي يقـضم فلـسطين قطعة قطعة.

---

(١) محمد عياش الكبيسي، إيران وربيع الإخوان ٢، صحيفة العرب القطرية، ٢٠١٢/٠٩/٠٤، على الرابط:
http://www.alarab.qa/details.php?issueId=1728&artid=206168

والأساس الفكري الذي انطلق منه الإخوان في هذا النهج هو ذلك المبدأ الذي ما فتأت قياداتهم يرددونه منذ زمن مؤسس الجماعة حسن البنا: «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه»، فقد فسّر يوسف ندا، أحد قادة التنظيم العالمي لجماعة الإخوان المسلمين، صمود العلاقة بين إيران والإخوان مستشهداً بمقولة حسن البنا الشهيرة السابقة الذكر[1].

والحقيقة أن هذا المبدأ الذي يعبر عن سعة صدر أو هكذا يفترض طُبق على الشيعة رغم الاختلاف الكبير معهم، ولم يُعمل به بين أطياف الصحوة الإسلامية رغم العناصر المشتركة الكبيرة، بل كان هناك تحالف شيعي- إخواني في مواجهة الاتجاه السلفي بسبب مواقف الأخير من العمل السياسي الحزبي والشيعة على حد سواء.

وبغض النظر عن الجدل حول المواضيع الخلافية ضمن الدائرة السنية إلا أنه لا يمكن مقارنته إطلاقا بتاريخ الشيعة المدون بالدم، وعقائدهم المتراكمة عبر أربعة عشر قرنا، ظلمات بعضها فوق بعض، غير أن المفاهيم مقلوبة تماما عند الاتجاه الموالي لإيران، فهم أشداء على السنة رحماء على الشيعة.

وفي هذا السياق حاول الإخوان النأي بأنفسهم عن موضوع التشيع، وتوهمت الحركة الإسلامية أنها بابتعادها عن النقاش حول القضايا العقدية الخلافية بين السنة والشيعة، تسدي بذلك خدمة جليلة للمشروع الإسلامي وتضيف لبنة للصحوة، فراحت تقلل من أهمية الظاهرة وتشنع على كل من يفتحها.

ترتب عن ذلك الكثير من النتائج السلبية التي لم تتوقف عند فشل مشاريع التقريب والوحدة أو تحرير فلسطين، فتناقض المواقف الإخوانية وتباينها من إيران والمحاولات والجهود المضنية التي بذلتها في سبيل مشروعها الطوباوي حول التقريب بين السنة والشيعة، ومواقفها المتشنجة من الاتجاهات السنية الأخرى والمعارك الفكرية معها، وتركيزها على الجوانب السياسية التي كانت تعتقد أنها أساس يمكن الاستناد عليه للتعاون في مواجهة العدو المشترك القابع في تل أبيب برعاية واشنطن، أدت في النهاية إلى ترسيخ هذا التصور عند الكثير من أبنائها وفصائلها التي لم تستوعب صدمة الثورة السورية وحقيقة المشروع الإيراني في المنطقة، والوشائج الطائفية التي تكشفت عند حزب الله.

وفي ظل الجهود المقابلة التي تقوم بها طهران والقوى الشيعية والحملة الدعائية زاد اضطراب القيادات الإسلامية التي استعصى عليها قبول الحقيقة، وراحت تتخذ مواقف فجة في تأييد إيران، وهذا ما تجلى في مبادرات بعض الأحزاب المحسوبة على الحركة الإسلامية على غرار حزب جبهة الجزائر الجديدة الذي يتزعمه جمال بن عبد السلام، فقد ترأس الأخير الوفد الجزائري الذي زار الرئيس السوري بشار الأسد، وكان من ضمنه العديد من المتشيعين بعضهم كانوا ينتمون لحركتي الإصلاح ومجتمع السلم، وهو سلوك ليس حكرا على هؤلاء فقط وإنما أشباههم متواجدون في كل الدول العربية بأشكال ومسميات مختلفة سواء في تنظيمات أو أفراد كعلماء دين ودعاة، أو مثقفين وإعلاميين، أمثال الصادق سلايمية أبرز الكتاب الجزائريين المتشيعين الذي أصبح لا يجد حرجا في المجاهرة بتشيعه، وجل كتاباته ضد الحركة الإسلامية الجزائرية، وهذا الموقف نفسه الذي تتبناه حاليا الرموز المتشيعة في مصر[2].

مفارقة التكفير والتشيع

يعتبر التكفير والتشيع من بواكير الظواهر

(١) عبد الله الرشيد، الإخوان والخليفة الخميني، مجلة المجلة، ٢٠١٣/٠٢/١٦، على الرابط:
http://www.majalla.com/arb/2013/02/article55242602

(٢) أسامة الهتيمي، شيعة مصر والخداع.. هل يعي الإخوان الدرس؟، مجلة الراصد، العدد ١٢٨، ٢٠١٣/١٢/٠٤، على الرابط:
http://www.alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6457

السلبية التي ظهرت في المجتمع الإسلامي. وبينما أولت الحركة الإسلامية الكثير من الاهتمام بالقضية الأولى في عصرنا الحاضر، وعادت بسرعة للتاريخ مستحضرة تجربة الخوارج والتقاطعات بينهم وبين الاتجاه التكفيري المعاصر، فإنها على العكس من ذلك لم تعالج الموضوع الشيعي من نفس الزاوية، وراحت تبحث عن المشتركات الوهمية مع الشيعة.

صحيح أن ظاهرة التكفير في تاريخنا اضمحلت بشكل سريع ولم تستمر وتنتشر وتتمأسس مقارنة بالشيعة، ولكن الأخيرة تؤكد كل تجاربها السابقة أنها كانت عنصر هدم لا بناء، فما الذي يجعلها تختلف الآن؟ خاصة وأن دموية ملالي قم وأتباعهم في المنطقة العربية وخياناتهم بدأت من اليوم الأول لمباشرتهم الحكم في طهران، بمحاولتهم تصدير الثورة وسيادة العالم الإسلامي نيابة عن مهديهم المنتظر.

ومجرد التنصيص على مبدأ «ولاية الفقيه» في الدستور وما يحمله من معانٍ يكفي لمن ألقى السمع وهو شهيد بيان ما الذي يريده القوم ويخططون له، ولكن «المكابرة الفكرية» والمنطلقات التي ارتكن إليها الإخوان في تصورهم للعلاقة مع الشيعة لا نجد لها أي أساس سليم كما سبق الإشارة.

وما يؤكد هذا، تناقض آخر يقع فيه الاتجاه المؤيد لإيران من الحركة الإسلامية بدفاعه عنها من منطلق ديني، ودعوته للتقريب من نفس المنظور، ولكن لما تناقش القضايا الدينية عند الشيعة يركز على المجال السياسي الذي يشتغل عليه ويحاول تحييد الجانب الديني، ومَن يفتح موضوع الخطر الشيعي لا توجه له تهمة سياسية بالعمالة فحسب، بل يعود الدين مرة أخرى ويسارع لاتهامه بالتكفير.

وبينما حاولت كل الاتجاهات الإسلامية نفي تهمة التطرف عن نفسها، وتقاذفت التهم بين بعضها البعض، بالمقابل لم تجد مسألة التشيع إنكارا لها من كثير من الأسماء البارزة في الإخوان، بل بعضها تشيع فعلاً ويفتخر بذلك، وبعضها يفتخر بعلاقاته الجيدة مع الشيعة وإيران وحزب الله حيث تتباهى باستضافته في ملتقياتها ومؤتمراتها.

ومع ذلك كله يزايد البعض بنفي وجود ظاهرة التشيع من الأصل ولم يبذل أي جهود في محاربتها، بل وأكثر من ذلك لم يلتفت حتى لدعوات الشيخ القرضاوي حين حذّر من المدّ الشيعي الإيراني، وهو الذي يؤخذ برأيه، ويتمسك به، ويتعصب له، لما يتعلق باتجاه إسلامي سني، حيث شن البعض منهم هجوما عليه، بردود من شخصيات مقربة من الإخوان هوّنت من ذلك أو نفته تماماً (سليم العوا، آمنة نصير، أحمد كمال أبو المجد... إلخ). وكان ذلك مؤشراً على مدى الاختراق الذي حققه الإيرانيون داخل المنظومة الفكرية للجماعة، ومدى النفوذ الذي أضحت طهران تمتلكه داخلها، خصوصا في مصر وتونس والأردن وفلسطين[1].

وكانت الحركة الإسلامية الإخوانية تتقرب من الغرب وإيران على حد سواء بنعت التيار المعارض للشيعة بالتكفير والتطرف والغلو، وأنها مختلفة عنه تماما بتبنيها شعار التسامح والعقلانية. وها هي إيران الآن تقدم نفسها كمواجه ومحارب للتكفيريين غير أن السلة التكفيرية الإيرانية واسعة وبإمكانها حمل كل من يعترض على سياساتها في المنطقة وفي مقدمتهم الإخوان المسلمون السوريون وغيرهم، ولا تتوانى في التضحية بالإخوان إذا تضاربت مصالحها معهم، وقد تجلى ذلك بعد الانقلاب العسكري على الرئيس محمد مرسي حيث بينت الوقائع التالية كيف أن إيران وبسبب مواقف الأخير المؤيدة للثورة السورية استحسنت الانقلاب العسكري عليه، وهو نفس موقف حزب الله الذي بات لا يفوت أمينه العام غمز ولمز حركة المقاومة الإسلامية حماس في خطاباته.

---

(١) محمد قواص، إيران والإخوان المسلمون أصول الطلاق!، ميدل إيست أونلاين، ٢٠١٢/١٢/٢٨، على الرابط:
http://middle-east-online.com/?id=146220

الخلاصة:

يدل مصطلح «الصحوة الإسلامية» على غفلة أو نوم أو تنويم، ولربما الحالات الثلاث مجتمعة مرت بها الأمة الإسلامية، ثم صحت من غفوتها وعادت تبحث عن موقعها بين الأمم وتؤدي الرسالة المنوط بها القيام بها. ولكن في حالة العلاقات الإخوانية – الإيرانية فإن ما جرى يتعدى ذلك إلى حالة الإدمان والغيبوبة الدائمة التي لم تنفع مع البعض منها صدمات بحجم الثورة السورية وعشرات الآلاف من الضحايا الذين يُقتلون يوميا بأيدي شيعية طائفية يشرف عليها ملالي قم والنجف.

والموقف الإخواني الذي لا يأخذ بعين الاعتبار الرؤية الفقهية الشيعية وتأثيرها على مواقف وقرارات القوى الشيعية سواء في إيران أو المنطقة العربية، لم يفلح في أي مجال، فدينياً ذهبت كل جهود التقريب هباء منثورا واستغلت لنشر التشيع فقط الذي أصبح رموزه أشد أعدائهم.

وفي الجانب السياسي الذي ضحت من أجله الحركة الإسلامية بالدين وجعلته في مرتبة تالية له تبين أن إيران لا يهمها إلا التوسع والنفوذ وتمكين القوى الشيعية في المنطقة خدمة لأغراضها، وجعلت من الحركة الإسلامية أيضا مطية لها في ذلك، وكما جرت العادة كانت إيران تسارع بالتضحية بعلاقاتها مع الإخوان عندما تتعارض مصالحها معهم.

فحصاد الإخوان مع إيران والشيعة خيبات وخيانات متتالية لا تختلف عن السوابق التاريخية من أول يوم نشأت فيه هذه الفرقة، وإذا كان مؤسسوها لم يراعوا للصحابة وأزواج النبي المصطفى ﷺ عهدا ولم يخافوا الله فيهم وتجرؤوا عليهم وحاربوهم، ويتعبدون الله بلعنهم وسبهم، ويستعدون لظهور مهديهم وإمامهم الثاني عشر للانتقام منهم مرة أخرى، فماذا ينتظر من يتحالف معهم غير هذا الحصاد؟!

وقد توالت الخيانات الشيعية للإخوان بداية من مجازر حافظ الأسد في حماة مرورا بالاحتلال الأمريكي للعراق والدعم الإيراني للقوى الشيعية المساندة له، وجرائم الأخيرة بحق الفلسطينيين هناك، ثم موقف إيران وحزب الله من الثورة السورية ومحاولته جرّ حركة حماس لتبرير جرائمها، وانتهاء بالانقلاب العسكري على الرئيس مرسي، وما تخلل هذه الفترات من خيانات كثيرة.

وفد شعبي مصري لإيران... اللعب على الأحبال

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

ليس من الصواب دائما أن يتم توصيف العلاقات بين الدول في إطار اللونين الأبيض أو الأسود بمعنى إما أن تكون العلاقة بين دولة وأخرى على أفضل ما يرام أو أنها على أسوأ حال، إذ تقع هذه العلاقات في الكثير من الأحيان داخل ما يعرف بالمساحة الرمادية التي تصيب الكثير من المحللين والمراقبين بالحيرة فيصعب عليهم تقييم هذه العلاقة التي تكون محدداتها في الغالب خفية أكثر منها علنية ومن ثم فهي تسير وفق المصالح الخاصة بكل دولة والتي تبقى ورغم كل شيء أمرا لا يدرك كنهه الحقيقي إلا المؤسسات القائمة على إدارة هذه الدولة أو تلك.

ويفسر ذلك مرور علاقات بعض الدول ببعضها بالكثير من المنحنيات إيجابا أو سلبا حيث تختلف وتتبدل الارتباطات الدولية من مرحلة إلى أخرى بل ربما من حدث لآخر ليصبح عدو الأمس صديق اليوم، وصديق اليوم عدو الغد وهكذا.

كما تكشف هذه الفلسفة التي تكاد

(*) كاتب مصري.

تكـــون الإطـــار الغالـــب والحـــاكم للعلاقـــات الدوليـة عـن التناقـضات الظـاهرة الـتي تقـع فيهـا الممارسـات الـسياسية الخارجيـة حيـث تحـاور بعـض أطرافهـا التظـاهر بالتمـسك بـبعض القـيم والمبـادئ غـير أنـه سـرعان مـا تتهـاوى هـذه الـدعاوى مـع أقـل اختبار يمكن أن يمس حسابات المصلحة.

وتعـد الدولـة الإيرانيـة نموذجـا فـذا بامتيـاز يجسد هـذه الفلسفة لـيس لكونهـا تـدافع فقـط عـن مـصالحها الخاصـة فهـذا أمـر ربمـا تـشاركها فيـه الكـثير مـن بلـدان العـالم ولكـن لأنهـا لا تفتـأ تـردد أيـضا عـبر تـصريحات مـسئوليها ووسـائل إعلامهـا وطابورهـا المنتـشر في البلـدان العربيـة والإسـلامية أنهـا المـدافع عـن حـق الأمـة والمقاومـة وأنهـا الحـصن الحـصين الـذي يواجـه أعـداء الإسـلام في كـل مكـان، في الوقـت الـذي لم يعـد خافيـا علـى أحـد تلـك الممارسـات الـسياسية الـتي تنـال مـن قـوة الأمـة ووحـدتها ذلـك أنهـا غلبـت حـساباتها الطائفيـة والقوميـة لتـصبح دعـاوى الـدفاع مجـرد آليـة مـن الآليات التي تستخدمها لتحقيق أهدافها الانتهازية.

أمثلة فجة

وتتعـدد النمـاذج والأمثلـة الـتي تكـشف عـن هـذا الـنهج الإيرانـي الطـائفي والـتي كـان أبرزهـا مـا يـشهده العـالم يوميـا ولنحـو ثلاثـة أعـوام مـن انحيـاز ودعـم مقيـتين للنظـام الـسوري بقيـادة بـشار الأسـد الـذي لم يكُـف للحظـة طيلـة هـذه الفـترة عـن ممارسـة القتـل والتـشريد بحـق أبنـاء الـشعب الـسوري لـيس إلا لكـون الأسـد وأركـان نظامـه ينتمـون للطائفـة العلويـة الـتي باركهـا قائـد الثـورة الخمينيـة معتـبرا إياهـا إحـدى الطوائـف الـشيعية ومـن ثـم فإنـه وجـب علـى إيـران أن لا تتخلـى عنهـا وتـدافع عنهـا مهمـا كانـت أخطـاء قياداتهـا وزلاتهـم بـل وجـرائمهم أيـضا ولتـذهب دعـاوى الـدفاع عـن حـق الـشعوب في تحقيـق حريتهـا ومبـادئ حقـوق الإنـسان ودعـوات التقريـب بـين المـذاهب إلى الجحـيم إذ ليـست هـذه الـشعارات سـوى «اسـطوانة مـشروخة» تعملـها وتفعلـها فقـط وقتمـا تـستدعي الحاجـة إلى ذلـك لممارسـة المزيـد مـن الخـداع للذين غاب الحق عن عقولهم.

ولا يختلـف موقـف إيـران مـن الأحـداث في مـصر كـثيرا عـن سـوريا فالمحـاولات الـتي بـذلتها إدارتهـا وخارجيتهـا مـن أجـل التقـرب لجماعـة الإخـوان المسلمين خـلال الفـترة الـتي قـدر لهـم فيهـا أن يكونـوا علـى رأس الـسلطة في مـصر «مـن يونيـو ٢٠١٢ وحتـى يونيـو ٢٠١٣» كانـت مجـرد وسـيلة للنفـاذ لاخـتراق مـصر الـتي ظلـت طيلـة الـسنوات الـسابقة علـى حكمهـم عـصية علـى الاخـتراق، وعليـه فـالإخوان لم يكونـوا بالنـسبة للإيـرانيين سـوى أحـد الأطـراف المخدوعـة فـيهم حيـث لم تقـدر الأقـدار لهـم أن تـضعهم علـى المحـك مباشـرة مـع الإيـرانيين فيـدركون حقيقـتهم ويعـون خبـث أهـدافهم ولهـذا وبمجـرد أن دارت علـيهم الـدائرة وتـدخل المجلـس العـسكري المـصري بقيـادة الفريـق أول عبـد الفتـاح السيـسي لإقالـة الـرئيس المـصري الـدكتور محمـد مرسـي لم تـتردد طهـران في أن تبيـع مرسـي وجماعتـه في أقـرب سـوق سـعيا وراء كـسب ود النظـام الجديـد الـذي رأت أن المؤشـرات الأوليـة تؤكـد إحكـام سـيطرته علـى البلاد وقدرته على إزاحة الإخوان من الحكم.

العودة للألاعيب

في المقابـل فـإن النظـام المـصري الجديـد بعـد الثالـث مـن يوليـو الماضـي لم يكـن بأفـضل حـال مـن نظـيره الإيرانـي إذ عـاد هـو الآخـر ليمـارس نفـس مـنهج اللعـب علـى الأحبـال الـسياسية الـتي كـان يمارسـها خـلال الفـترات الـسابقة علـى حكـم الإخـوان الـذين وعلـى الـرغم مـن الاعـتراض الـشديد علـى نهجهـم في التعـاطي مـع إيـران إلا أن الحـق يفـرض علينـا القـول بأنـه كـان تعاطيـا ينبـع مـن رؤيـة مبدئيـة لـديهم حيـث الاعتقـاد بـأن ذلـك يمثـل جهـدا لتوحيـد الـصف الإسلامي في مواجهة التحالف الدولي ضد الإسلام.

ولعـل مكمـن الخطـأ الـذي وقـع فيـه الإخـوان فـضلا عـن حـسن الظـن بالـشيعة والدولـة الإيرانيـة يتمثـل في أنهـم ولطـول الممارسـة الـسياسية غلبـوا الـسياسي علـى العقـدي، مـا كـان سـببا لأن يغـضوا الطـرف أولا عـن الكـثير ممـا تكـشف مـن طائفيـة

إيــران وعنــصريتها في العــراق وفي أفغانــستان وفي ســوريا بــل وعلــى أراضــيها حيــث الانتهاكــات الحقوقيــة الفجــة بحــق الــسنة مــن عــرب الأحــواز وأن يتجــاهلوا ثانيــا النــصائح الــتي بــح صــوت الإســلاميين الآخــرين في أن يــسمعوها للإخــوان حــول حقيقــة إيــران وأهدافها.

وتــسجل الأحــداث أنــه لم تكــد تمــر خمــسة أشــهر كاملــة علــى أحــداث يوليــو وإقالــة مرســي حتــى ســارعت القيــادة المــصرية الجديــدة إلى التــودد للنظــام الإيرانــي علــى الــرغم مــن أن أحــد أهــم ســهام النقــد الــتي كــان يوجههــا الكــثيرون مــن المــشاركين في الحــراك المــضاد للــرئيس مرســي هــو تقاربــه مــع إيــران والتــشكيك في نوايــاه بــل والاتهــام الــصريح لــه ولجماعتــه بالاســتعانة بهــا وبأجهزتهــا الأمنيــة في تــشكيل وتكــوين مــا يــسمى بــالحرس الثــوري المصري بمساعدة الحرس الثوري الإيراني.

خلفيات الانطلاق

ظــن القــائمون علــى إقالــة مرســي أن أمــر تحقيــق الاســتقرار في مــصر لــن يتجــاوز أيامــا حيــث بمقــدور الأجهــزة الأمنيــة بمــساعدة القــوات المــسلحة أن تجهــض الحــــراك الــــسياسي المحتمــــل مــــن قبــــل الإخــــوان والإســلاميين المحــتجين علــى هــذا التــصرف إلا أن هــذا لم يحــدث وظلــت تتواصــل عمليــات الــرفض بأشــكال متعــددة كــان أبرزهــا التظــاهرات والمــسيرات الــتي لم تتوقــف للحظــة واحــدة وهــو مــا كــان مــن أهــم تداعياتــه الــتردد الــدولي في دعــم الانقلابــيين وتأييــد مــا حــدث بعد ٣ يوليو.

وبطبيعــة الحــال فقــد كانــت أعــين الجميــع ســواء في الــــداخل المــــصري - جميــــع الأطــــراف - أو في الخــارج علــى الموقــف الأمريكــي مــن هــذه الأحــداث وهــو مــا أدركــت أمريكــا خطورتــه حيــث لم يعــد يــسيرا عليهــا أن تحــسم موقفهــا إزاء تطــورات الأحــداث في مــصر خاصــة وأنهــا كانــت عــاجزة بكــل أجهزتهــا الاســتخباراتية عــن التنبــؤ بأحــداث ثــورة الخــامس والعــشرين مــن ينــاير لتمــارس هــي الأخــرى سياســة اللعــب علــى الحبــال وإرجــاء قــرار الحــسم حتــى تتــضح الرؤية كاملة.

وكــان لهــذا الموقــف المــتردد أثــره الــسلبي علــى اســتتباب الأمــر بمــصر حيــث كــان دافعــا للعديــد مــن البلــدان والقــوى الإقليميــة والدوليــة لأن تتراجــع هــي الأخــرى عــن دعــم النظــام الجديــد علــى الــرغم مــن أن أغلبهــا كــان غــير راض عــن وصــول الإخــوان للــسلطة خــشية أن تكــون هــذه هــي البدايــة لوصــول إســلاميين آخرين للحكم في بلدان مجاورة.

كمــــا مثــــل الموقــــف الأمريكــــي غــــير المحــــسوم اســتفزازا للقيــادة المــصرية الجديــدة الــتي رأت أن ذلــك يعــد تخليــا عنهــا في وقــت عــصيب، فــسارعت إلى اتخــاذ عــدة مواقــف مــضادة كــان أوضــحها أنهــا شــنت حملــة مــن النقــد الــشديد عــبر وســائل الإعــلام لترويــج الادعــاء بــأن الإخــوان المــسلمين عمــلاء لأمريكــا، وأن أمريكــا مــا زالــت تــدعمهم غــير أن ذلــك لم يكــن لــه نتائجــه الإيجابيــة وفــق مــا كانــت تريــد الإدارة المــصرية الجديــدة ومــن هنــا فقــد بــدأت بــالتفكير في وســيلة أخــرى للــضغط علــى واشــنطن لــيس فقــط لانتــزاع دعــم وتأييــد أمريكــي كــاملين للوضــع الــسياسي في مــصر ولكــن أيــضا لتتحــرك واشــنطن مــن أجــل ممارســة دورهــا لإقنــاع بقيــة القــوى الدوليــة بمــا آلــت إليــه أوضــاع البلاد.

وعلــى الفــور اتجهــت أنظــار القــائمين علــى الوضــع إلى ممارســة لعبــة الابتــزاز الــسياسي لأمريكــا عــبر التقــرب مــن المحــور المقابــل للولايــات المتحــدة والمتمثــل في روســــيا والــــصين باعتبارهمــــا قــــوتين دوليــــتين منافــستين، وإلى إيــران باعتبارهــا القــوة الإقليميــة الكبرى المتنازعة مع أمريكا والغرب.

الدبلوماسية الشعبية

لم يكــــن مــــن الحكمــــة بــــأي حــــال أن تتحــــرك القيــادة المــصرية الجديــدة باتجــاه إيــران مــن خــلال القنــــوات الرسميــــة المتمثلــــة في رئاســــة الجمهوريــــة أو وزارة الخارجيــــة إذ مــــن الممكــــن أن يكــــون ذلــــك اســتفزازا قويــا لواشــنطن لا تحمــد عواقبــه كمــا يمكــن أن يكــون ســببا لإثــارة غــضب واســتياء البلــدان الخليجيــة الــتي تعــد الــداعم المــالي الأساســي للنظــام

الجديد في مواجهة الحالة الاقتصادية الصعبة التي تمر بها البلاد منذ الإطاحة بالرئيس مرسي، بالإضافة إلى عدم تجاوز الموقف الجماهيري العارم الرافض لإيران وسياساتها ومن ثم فإن الإدارة المصرية اكتفت بالتلويح بإمكانية التقارب مع إيران عبر إرسال ما أسمته «وفود الدبلوماسية الشعبية المصرية».

والحقيقة أن زيارة وفد شعبي لإيران تحت مسمى «الدبلوماسية الشعبية» ليست الأولى فقد سبق وأن زار وفد مماثل طهران في مايو من عام ٢٠١٢ غير أن الفارق الجوهري بين الوفدين أن الوفد الأول ضم عددا من الشخصيات بلغ نحو ٤٥ شخصية من مختلف الاتجاهات السياسية والفكرية ومن بينها التيار الإسلامي وهو الأمر الذي لم يتحقق بشأن الوفد الذي قام بزيارة طهران في الفترة من ٥ إلى ١٥ ديسمبر ٢٠١٣م حيث اقتصر تكوينه على الشخصيات المؤيدة للانقلاب ومن ثم فإن المهمة التي استهدفها اختلفت بشكل جذري حيث كانت تركز زيارة مايو على تطوير العلاقات بين القاهرة وطهران بعد فترة طويلة من القطيعة استمرت لأكثر من ثلاثين عاما وهو الهدف الذي جاء استجابة لمطالب شعبية بضرورة الانقلاب على سياسات الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك.

في المقابل فإن طبيعة تكوين الوفد الأخير الذي ضم نحو ٣٥ شخصية استمر اختيارهم لشهرين بينهم « الدكتور صلاح الدين الدسوقي والدكتور جمال زهران والدكتور أحمد دراج وأحمد طه النقر وأحمد السعيد ورشاد خليل وعلاء أبوزيد وفاروق العشري وعلي عبد الحميد وعمرو علي وعمر عز وطارق الخولي - ممثل حركة ٦ إبريل «الجبهة الديمقراطية» — وغيرهم « تكشف عن حقيقة الهدف منها حيث تسعى القيادة المصرية الجديدة إلى كسب تعاطف إيران معها وإقناعها بأن ما حدث من قبل القوات المسلحة وإقالة مرسي لم يكن انقلابا بل هو استجابة لإرادة الشعب المصري الذي ثار على رئيسه لفشله في إدارة البلاد.

وقد كشف الدكتور جمال زهران في إحدى مقابلاته التلفزيونية عن ذلك صراحة حين تحدث عن أن زيارة إيران تأتي انطلاقا من أهمية وجود غطاء سياسي للنظام الحالي في ظل التفاعلات والتشابكات الدولية والإقليمية.

وقد حمل الوفد الشعبي الذي تم اختياره عبر ما يسمى بـ«التجمع العربي لدعم خيار المقاومة» - الذي تأسس في الثالث والعشرين من يوليو ٢٠١١ بالعاصمة اللبنانية «بيروت» - مجموعة من الرسائل التي رأى أنها يمكن أن تسهل مهمته فحرص على التأكيد على استقلال القرار المصري وأن ما يسميه بـ» ثورة ٣٠ يونيو» كانت تخلصا من التبعية التي أراد مرسي أن يفرضها على مصر لصالح بعض الأطراف الدولية والإقليمية، وأن مرسي لم يكن منحازا كما يتصور الإيرانيون للمقاومة إذ كان هو من قدّم لأمريكا و«إسرائيل» ما لم يقدمه مبارك بتعهد حماس بعدم إطلاق صاروخ واحد تجاه «إسرائيل» وبضمانة مصرية.

وهو ما أكده الكاتب طه النقر الذي قال إن الهدف الرئيسي من زيارة إيران هو شرح حقائق الوضع في مصر بعد ٣٠ يونيو وأن ما حدث ثورة شعبية وليس انقلاباً على «الصحوة الإسلامية» مؤكداً أن الوفد المصري هاجم الموقف الإيراني «المتردد» فى الانحياز للثورة المصرية واتهم الجانب الإيراني بالانحياز لمعسكر الإخوان.

وحرص الوفد على أن يلتقي بمن يمكن اعتبارهم الشخصيات النافذة في الإدارة الإيرانية من أمثال «رئيس مجلس الشورى الإسلامي الإيراني علي لاريجاني والمستشار السياسي للمرشد الأعلى للجمهورية الإيرانية الدكتور علي أكبر ولاياتي ومساعد وزير الخارجية للشئون العربية والإسلامية حسين أمير عبد اللهيان ووكيل وزارة الخارجية مدير معهد الدراسات السياسية والدولية الدكتور هادي سليمان بور ومدير إدارة الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية الإيرانية مجتبى فردوسي بور والأمين العام للمجمع العالمي الإيراني للتقريب بين

المذاهب الإسلامية آية الله محسن الأراكي» حيث امتدت الحوارات معهم لتوضيح وجهة النظر في الكثير من القضايا.

وكان أطرف ما صرح به أعضاء الوفد المصري عند عودتهم من إيران أن الحالة التي كان عليها من التقوهم من الشخصيات الإيرانية تبدلت من الجفاء والفتور إلى الود والترحيب بعد الدور الذي لعبه أعضاء الوفد طبعا في إقناع هؤلاء المسئولين، وهو أمر يثير الضحك والسخرية إذ ليس من المتصور منطقيا أن تحديد موقف الدولة الإيرانية كان متوقفا على ما أوضحه أعضاء هذا الوفد لكن المنطقي هو أن المسئولين الإيرانيين كان يجب أن يتظاهروا بما بدوا عليه من ضيق كشكل من أشكال حفظ الوجه واتساقا مع ما كانوا قد أعربوا عنه سابقا من رفض تدخل الجيش في الحياة السياسية فضلا عن إبداء بعض مشاعر الاستياء كاحترام لجماعة الإخوان التي كثيرا ما جاملت إيران والإيرانيين لهذا فإنهم ووفق ما صرح به الدكتور دراج متفهمون لما يجري في مصر حيث يرون أن ٣٠ يونيو تصحيح لـ «٢٥ يناير» بعد أن تم اختطافها ومضيفا أن إيران على استعداد لمساعدة مصر في المجال العلمي لأنها بالنسبة لهم دولة مركزية لا يمكن الاستغناء عنها.

وهو نفس ما أكده ممثل ٦ إبريل طارق الخولي الذي لفت إلى أن المسؤولين الإيرانيين أكدوا أنهم يباركون تحرك ٣٠ يونيو، ويعتبرونه موجة ثانية من الثورة وأنهم على استعداد للتواصل مع مصر وبدء حوار استراتيجي يضع أسساً لعلاقات قوية.

ولم ينس الوفد أن يبعث برسالة تطمينية لبلدان الخليج خشية أن تكون هذه الخطوة سببا لتأزيم العلاقة مع مصر في وقت هي أحوج ما تكون فيه للدعم الخليجي، لهذا فقد حرص الوفد على أن يعلن أنه أكده خلال لقاءاته على أن أمن الخليج العربي من الخطوط الحمراء لدى مصر لأنه يعتبر من أمن مصر القومي وأن تعزيز العلاقات بين القاهرة وطهران يبدأ من أمن الخليج.

الحالة الأمنية في المناطق السنية في العراق بعد عام من الحراك الشعبي

خاص بالراصد

كان عام ٢٠١٣ حافلاً بالأحداث المتسارعة بعد أن دخل العمل السني العراقي منعطفا نوعيا إثر انطلاق حركة التظاهر الشعبي (الحراك) أواخر عام ٢٠١٢ فالمواجهة أخذت طابعاً مختلفا عن السنوات العشر الماضية (٢٠٠٣- ٢٠١٢) فقد أصبحت بين الجمهور السني والدكتاتورية الشيعية الناشئة بقيادة حزب الدعوة، بعد أن كانت محصورة بين حركة المقاومة المدعومة شعبياً والجبهة الشيعية بمختلف مكوناتها (أحزاب، مليشيات، حكومة).

كانت ردة الفعل الشيعية على الانتفاضة السنية متوقعة لأنها هددت مصالح المذهب وقيادته التي عملت على تثبيت حكمها وقمع معارضيها بمختلف الطرق والوسائل، كما أن حركة الاحتجاج السني تزامنت مع استمرار الثورة السورية وتصاعد نفوذ الإسلاميين السنة فيها (معتدلين ومتطرفين).

كانت بعض أجواء هذا العام شبيهة بأجواء عام ٢٠٠٦ «أيام اجتثاث وإبادة السُنّة» التي يسمونها الحرب الأهلية: حيث الاغتيالات، واستهداف أئمة المساجد ومصليها، والقتل الجماعي، والجثث المجهولة في الشوارع، والتهجير، والحملات المركزة على المناطق التي لم ينقطع عنها الاستهداف منذ عام ٢٠٠٥، هذا كله بالتزامن مع استمرار الإعدامات، والاعتقالات تحت بند المادة الرابعة من قانون مكافحة الإرهاب.

سنُجمل الحديث عن أهم ما جرى خلال عام من الحراك حسب المحافظات:

١- العاصمة «بغداد»:

الحديث عن بغداد بعد ١٠ سنوات من قيام

الحكم الشيعي، حديث عن مدينة سنية أصبحت شيعية «سكانياً ودينياً»، وهي معقل الحكومة والميليشيات، الظهير القوي لقوات المالكي وأبرزها (عصائب أهل الحق، كتائب حزب الله في العراق، الميليشيات المرتبطة مباشرة بمقتدى الصدر، جيش المختار) ولهذه الميليشيات حضور ونفوذ واسع وملحوظ فهي تملك مكاتب ومراكز وتقيم استعراضات ومؤتمرات.

- تنتشر في بغداد الأجهزة الأمنية التي يسيطر على معظمها حزب الدعوة، وبعض فرق الجيش، فضلاً عن التشكيلات الخاصة بمكتب رئيس الوزراء القائد العام للقوات المسلحة كـ [قوات عمليات بغداد، ولواء ٥٦ «لواء بغداد»، والقوات الخاصة swat – اليد الضاربة للمالكي، جهاز مكافحة الإرهاب].

- تضم بغداد عدداً من السجون التابعة لوزارات الداخلية والعدل والدفاع، التي يتكدس فيها الآلاف من السنة، وبين الحين والآخر يتم الإعلان عن إعدام معتقلين أو وفاة بعضهم تحت التعذيب، وقد رصدت المنظمات الحقوقية العراقية والدولية (هيومن رايتس ووتش، العفو الدولية «أمنستي») بعض هذه الحالات ووثقتها في تقارير وبيانات.

- يتركز وجود السنة في جانب الكرخ)غرب بغداد) والأعظمية (شرق بغداد)، ومعظم المناطق السنية مطوقة بجدران وكُتل إسمنتية تعيق الحركة وتضعها تحت المراقبة، وتسهل عمليات الدهم والتفتيش والاعتقال عند حدوث أي تفجير.

- خلال عام ٢٠١٣ زاد استهداف الأئمة والخطباء والمصلين، خاصة أيام الجمعة بعد خروج المصلين من المساجد حيث تنوعت الهجمات بين اغتيالات وتفجير عبوات ناسفة، وقرر «المجمع الفقهي العراقي» إغلاق المساجد احتجاجاً على استهداف الأئمة والمصلين ابتداء من يوم الجمعة ٢٢/ ١١، لكن القرار سرعان ما ألغي من قبل «ديوان الوقف السني».

- وثقت مؤسسة «حياة بغداد» أكثر من ١٧ حالة اغتيال تعرض لها مصلو المساجد (خلال شهر رمضان) في منطقة الشعب شرق بغداد[1].

- ذكر رئيس ديوان الوقف السني أحمد السامرائي في مؤتمر صحفي عقده في ١٨ أيلول أنه خاطب بكتب رسمية الجهات المختصة لحماية المساجد بأكثر من ٣٧ كتاباً، وخلال شهرين ونصف تعرض أكثر من ٨٠ مسجدا للاستهداف، وقد بلغ عدد الشهداء ٢٤٢ شهيدا من منتسبي الديوان أو المصلين[2].

محيط بغداد السني: وهي ضواحٍ زراعية في الغالب تشكل ما يُعرف بحزام بغداد كالتاجي وأبو غريب والمشاهدة والطارمية والمحمودية واليوسفية واللطيفية والرضوانية وسبع البور والمدائن، كانت في السابق من أكبر معاقل المقاومة (والقاعدة تبعاً) وظلت تحت ضغط الحكومة والميليشيات لأنها طوق سني يحيط بمركز الحكم الشيعي (العاصمة).

في منتصف آب/ أغسطس ٢٠١٣ أعلنت الحكومة عن بدء حملة أطلقت عليها «ثأر الشهداء» أسفرت عن اعتقال الآلاف، مما دفع بعض العوائل للنزوح.

- تتعرض الضواحي الشمالية لبغداد (الطارمية والتاجي والراشدية) إلى عمليات «دهم واعتقال» مستمرة فضلاً عن تكرر حوادث الاغتيال.

جنوب بغداد (مثلث الموت سابقاً) وهي مناطق اللطيفية واليوسفية والمحمودية، وتعد من أكبر بؤر الانفجار الطائفي في العراق، فهي معقل المقاومة (والقاعدة تبعاً)، وتقع على طريق زوار كربلاء.

دفع السنة فيها ثمن شراستهم ضد الأمريكان والحكومة، كما دفعوا ثمن أعمال القاعدة المحرضة للشيعة، وهي بالأصل على رأس قائمة

---

(١) صحيفة العرب اليوم (٢٠١٣/٨/٨).

(٢) الموقع الرسمي لديوان الوقف السني http://sunniaffairs.gov.iq

الاستهداف عند الحكومة والمليشيات لموقعها الاستراتيجي.

تعاني هذه المناطق السنية من قوات الجيش العراقي (الفرقة ١٧) بقيادة اللواء الركن ناصر غنام، حيث تكثر الاعتقالات وعمليات التعذيب داخل سجون الفرقة، وقد صرح حامد المطلك القيادي في ائتلاف العراقية بأن أكثر من ٢٠ معتقلاً قضوا تحت التعذيب في سجون الفرقة ١٧ خلال العام ٢٠١٢[١].

بعض حوادث الاغتيال ضد السنة:

حسين علي حسين الحديثي	إمام مسجد الرشيد – سبع البور
عامر محمود الجنابي	إمام مسجد المثنى – حي القاهرة
قاسم حبيب المشهداني	إمام مسجد الصديق في الغزالية، ومن أبرز ناشطي الحراك في بغداد
حسين لفته	إمام مسجد الرحمن - الدورة
أحمد نصيف جاسم محمد العبيدي	شيخ عشيرة، وناشط سني في مناطق جنوب بغداد- المحمودية
محمود محمد طه السامرائي[٢]	شخصية دينية معروفة - المحمودية
مؤذن جامع النور المحمدي	قضاء المحمودية جنوب بغداد
ثامر حبيب جلوي	من شيوخ عشيرة العبيد – جنوب بغداد

٢- محافظة الأنبار

تصدرت الأنبار المشهد السني منذ الاحتلال، فكانت دائماً في المقدمة عند انطلاق المقاومة، والأكثر تضرراً من تنظيم القاعدة، والأسرع الى محاربته، ومنها انطلق الحراك الشعبي.

أبرز قوى التأزيم الأمني:

١- قوات سوات، وقوات الشرطة الاتحادية المرتبطة بحكومة بغداد.

٢- تنظيم القاعدة الذي يستهدف أبناء المحافظة من جهة (اغتيالات وتفجيرات انتحارية)، ويستهدف القوات الحكومية من جهة أخرى لجرها إلى مواجهة تؤدي إلى مداهمات واعتقالات في صفوف المواطنين.

٣- قوى عشائرية مسلحة موالية لنوري المالكي كوسام الحردان، وحميد الهايس وغيرهما.

حاولت الحكومة الاصطدام بالمتظاهرين واستفزازهم فاعتقلت بعض رموز الحراك، وتعرض بعضهم لعمليات اغتيال، ولوحق آخرون بمذكرات اعتقال وإلقاء قبض.

بعض حوادث الاغتيال ضد أبناء السنة

كاظم عبد الباسط	إمام مسجد الحامضية – ناحية حصيبة
ماجد العيساوي	إمام مسجد معاوية - الفلوجة
طالب يوسف زويد العيساوي	إمام مسجد البراء بن عازب، ومن قادة التظاهرات
سعد عامر عباس الدليمي	خطيب مسجد
أحمد جمعة كريم	إمام مسجد البراء بن مالك – القرية العصرية
حاتم موسى حمد الحلبوسي	إمام مسجد الكرمة الكبير
خالد حمود الجميلي	أبرز قادة التظاهرات في المحافظة
سعدون عيفان العيساوي	قيادي في الصحوة[٣]

٣- محافظة صلاح الدين

- تعتبر مدينة سامراء (جنوب المحافظة) من أهم مدن الحراك بعد الأنبار، وأظهرت منصات

(١) تصريح لمدى برس (صحيفة المدى) ٢٠١٣/٢/٤.

(٢) قُتل والده رحمه الله على يد المتمردين الشيعة في أحداث الغوغاء عام ١٩٩١.

(٣) قُتل بعد تصريحاته بشان إغلاق منفذ طريبيل الحدودي، واصفاً القرار بأنه إعلان حرب على السنة وعلى أهل الأنبار.

الاعتصام فيها (ميدان الحق) شخصيات سنية ذات وعي متميز كالشيخ محمد طه حمدون السامرائي والأستاذ ناجح عباس الميزان.

- في ٦ تموز ٢٠١٣ تعرض «ميدان الحق» لتفجير أسفر عن قتل ١٢ متظاهراً.

أبرز قوى التأزيم الأمني

- قوات الحكومة (قيادة عمليات سامراء، مغاوير الداخلية، قوات سوات المنطلقة من بغداد).

- تنظيم القاعدة الذي ينشط فيها ويبتز التجار والموظفين لتمويل عملياته (لاسيما مصفاة بيجي ومحطة الكهرباء فيها)، ويستهدف معارضيه بالتصفية الجسدية.

٤- ديالى (شمال شرق بغداد)

السيادة في هذه المحافظة للاضطراب الأمني والتوتر التام، فهي محاذية لإيران وتعتبر من أهم مداخل مسلحي الشيعة والقاعدة. وشهدت في السابق حركة مقاومة عنيفة للاحتلال، واحترابا شديداً بين السنة والشيعة، ونفوذاً كبيراً للقاعدة.

- **قوى التأزيم**

أ- القوات الحكومية: الشرطة والجيش (الفرقة الخامسة)، قوات عمليات دجلة بقيادة عبد الأمير الزيدي.

ب- المليشيات الشيعية المختلفة

ج- تنظيم القاعدة

التحقت مدن ديالى بالحراك الشعبي فنالها نصيبها من الاستهداف، حيث تعرضت مساجدها وأئمتها لتفجيرات واغتيالات حصدت العشرات من المصلين

- **أبرز التفجيرات التي استهدفت المساجد**

تفجير مسجد الصديق– الوجيهية (١٩ تموز)	مقتل أكثر من ٢٠ مصلياً
تفجير مسجد سارية - بعقوبة (١٧ أيار)	مقتل أكثر من ٤٠ مصلياً
تفجير مسجد أبو القاسم محمد - بعقوبة (١٣ أيلول)	مقتل أكثر من ٣٠ مصلياً
تفجير مسجد القدس – المقدادية (٣١ أيار)	مقتل شخصين

وقد دفعت هذه الأعمال الوقف السني في المحافظة إلى إعلان إغلاق المساجد احتجاجاً، وذلك في منتصف شهر تشرين الثاني الماضي.

- تكثر في محافظة ديالى الاعتقالات العشوائية، وحالات الوفاة تحت التعذيب في سجون الحكومة (مديرية مكافحة الجرائم الكبرى وغيرها).

- شهدت القرى السنية الواقعة جنوب قضاء المقدادية (الخيلانية، الكف، عكيدات، جميلات، التويم) وغيرها حالات نزوح جماعي بسبب قصف بالهاونات وذلك في شهر تموز[1]، ووثق تقرير صادر من وزارة الهجرة والمهجرين تهجير أكثر من ٢٣٥ عائلة سنية[2].

بعض حوادث الاغتيال ضد أبناء السنة

عبدالرحمن أحمد البدري السامرائي	إمام مسجد الخضر - بعقوبة
شوقي خضير أحمد	إمام مسجد خديجة الكبرى
مهند علي النعيمي - قتل معه ابن عمه (عبد الوهاب)	إمام مسجد الأبرار - الخالص
ثابت حسين مظلوم الخزرجي	استاذ الحديث بجامعة ديالى وإمام مسجد
فاروق سليمان كاظم الجوراني	إمام مسجد محمد رسول الله - المقدادية
قحطان محمود الرجب المهداوي	من شيوخ عشيرة المهدية (السنية)
عمار إسماعيل عبد الله	عضو مجلس علماء العراق- طوزخورماتو
نجم الحربي	عضو مجلس المحافظة

٥- جنوب العراق

شهدت محافظات الجنوب (البصرة، الناصرية) موجة عنف ضد السنة شملت اغتيالات، وتهجير أكثر من ١٠٠ عائلة من عشيرة السعدون في

(١) صحيفتا الحياة اللندنية، والمدى العراقية (٢٠١٣/٧/١٦).
(٢) صحيفة المستقبل العراقية (٢٠١٣/٧/١٥).

محافظة الناصرية (صحيفة المدى ١٥ أيلول)[١].

فقد أصبحت الاغتيالات المستهدفة لأبناء السنة ظاهرة ملحوظة لكثرة تكرارها خاصة خلال شهري آب وأيلول، وبلغ الحال أن أعلنت وزارة الداخلية تشكيلها لجنة تحقيقية عليا في حوادث الاغتيالات في محافظتي البصرة وذي قار (صحيفة المدى، ٢٣ أيلول) وكما جرى في بغداد وديالى فقد أغلقت المساجد احتجاجاً.

بعض حوادث الاغتيال ضد أبناء السنة

أسعد ناصر	إمام مسجد فجة النعمة- قضاء أبو الخصيب
علي حسن علي	عضو الحزب الإسلامي
عدنان مجيد الغانم	شيخ عشائر الغانم، من أشهر شيوخ السنة في الجنوب، قتل معه مرافقه (كاظم الجبوري)
جمال محسن الفارس	شيخ عشيرة الرفيع السنية في محافظة الناصرية (ناحية الفجر)
عبد الكريم مصطفى	إمام مسجد التقوى – منطقة المشراق
عبد الحميد العثمان الدليمي	من شيوخ عشيرة الدليم في البصرة
أحمد فؤاد	مؤذن جامع حمدان – قضاء أبو الخصيب
عبد الحافظ فاروق عبد الحافظ	مؤذن جامع بلد سلامة – قضاء أبو الخطيب
نجم الخويطر (٧٠ عاما)	من مصلي جامع الخضيري- قضاء الزبير
ناطق ياسين عبد الخضر	إمام مسجد السبيليات في قضاء أبو الخصيب

٦- الموصل

يكثر التوتر الأمني في الموصل لأنها مدينة تتنازعها مختلف الأطراف (الحكومة، الأكراد، السلطة المحلية «العرب») ويعتبر تنظيم القاعدة لاعباً فاعلاً يمكن أن يقدم خدماته لأي جهة تطلبها، بالاضافة إلى عمله التقليدي في فرض الأتاوات والقيام بالتفجيرات وتنفيذ الاغتيالات ضد أبناء المدينة.

قوى التأزيم الأمني

- قوات الشرطة الاتحادية (الفرقة الثالثة) المرتبطة بالمالكي
- الفرقة الثانية - الجيش العراقي
- تنظيم القاعدة، والذي اشتكى منه حتى المتطرفون في جماعة أنصار الإسلام الناشطة في الموصل وكركوك ووجهوا نداءً إلى أيمن الظواهري بخصوص اعتداءات القاعدة على عناصرهم!

بعض حوادث الاغتيال ضد أبناء السنة

إياد عبد الكريم الحمداني	إمام مسجد الصفا - حي تموز
عبد المجيد الجبوري	إمام مسجد الخشاب - حي العربي
محمد إبراهيم حمادي	إمام مسجد الشهيدين – رأس الجادة
ثروي كوزر الشمري	من قادة التظاهرات – عميد ركن سابق
محمد جاسم الجبوري	أستاذ جامعي وإمام مسجد الأغوات
برزان حازم البدراني	شيخ عشيرة، وناشط في التظاهرات
ويس حسين المرير	من شيوخ عشيرة اللهيب
علي نافع عزيز الشماع	إمام مسجد محمد النوري
أحمد خير الدين إبراهيم	إمام مسجد الحجار
ماهر سالم محمود	إمام مسجد الحاج إياد

٧- كركوك (محافظة التأميم)

تشهد المحافظة توتراً مستمراً بين العرب والأكراد الذين يطمعون بضمها الى إقليم كردستان، وتصاعد الخلاف مؤخراً بين الأكراد والحكومة التي وسعت نفوذها الأمني فيها من خلال تشكيل «قوات عمليات دجلة» التي تسعى لفرض قوتها على حساب السلطة الكردية.

(١) صحيفة الشرق الأوسط (١٦ أيلول ٢٠١٣) العدد (١٢٧١١).

- في تموز تم اغتيال عبد الله سامي العاصي العبيدي رئيس المجموعة العربية في مجلس محافظة كركوك.

- أبرز حوادث العام في كركوك، حادثة اقتحام ساحة الاعتصام في مدينة الحويجة (جنوب غرب كركوك) بتاريخ ٢٣ نيسان وتنفيذ مجزرة راح ضحيتها أكثر من ٥٠ شخصاً، حيث كان لهذه المجزرة أصداء وتداعيات واسعة لاسيما مع تسرب بعض التسجيلات المصورة، والروايات التي أكدت أنها كانت عملية إعدام جماعي بشكل طائفي بحت.

السياسات الشيعية الإقصائية في العراق وإيران تجاه سنة العراق

صباح العجاج[*]– خاص بالراصد

شهدت محافظة الأنبار، يوم السبت ٢٠١٣/١٢/٢١ مقتل قائد الفرقة السابعة في الجيش العراقي، العميد الركن محمد الكروي، ومجموعة من مرافقيه السنة، بتفجير عبوة ناسفة خلال قيامه بمطاردة عناصر تنظيم القاعدة، بعدها بيوم طالب رئيس الحكومة نوري المالكي معتصمي الأنبار «بالانسحاب من خيم الاعتصام لتبقى عناصر القاعدة فيها فقط»، وشدد على أنه «لن يسمح ببقاء مقرات الاعتصام مقرات للقاعدة» بعدها بيومين أطلق نوري المالكي عملية كبيرة أمهل فيها الجيش أسبوعاً كي يقضي على تنظيم داعش (الدولة الإسلامية في العراق والشام)، في هذا المقال سنحاول البحث عن دوافع وأسباب هذه العملية ؟ وعلاقة الحكومة العراقية بملف الإرهاب في العراق ؟ وكيف أن القاعدة متورطة بتنفيذ مخططات إيران والشيعة ؟

منذ أكثر من سنتين وتنظيم القاعدة ينخر في جسم المناطق السُنيّة؛ فهو ليلاً المسيطر الأول والأخير عليها؛ **فمحافظة نينوى** أصبحت السيطرة فيها لعناصره برغم وجود جيش شيعي كبير[1]، وأصبحت الصحراء والحدود السورية العراقية مستباحة لتحركات القاعدة بشقيها (النصرة قديما وداعش حاليا)، والمناطق السُنيّة هناك مُستباحة لهم فمعدل ما تفرضه القاعدة هناك من أتاوات شهريا ٧ ملايين دولار، وامتدت هذه الجباية إلى **محافظة صلاح الدين** التي غدت هي الأخرى مسرحا للقاعدة، وهوجمت محافظة صلاح الدين إلى درجة أصبحت الرؤوس المقطعة في كل صباح تنتشر في الساحات الرئيسية في بلدات المحافظة، وكل المقتولين سنة؛ ولأسباب شتى، أما **محافظة الأنبار** فهي ليلا بيد القاعدة ونهاراً بيد الجيش العراقي؛ هذه هي المحافظات السنية الثلاث التي لها حدود مع سوريا.

ومن المعلوم أن تنظيم القاعدة في العراق مخترق منذ سنين، أدركنا ذلك منذ سنة ٢٠٠٤، صحيح أن كثيرا من المجاهدين السنة لم يدرك ذلك إلا بعد مضي سنين، لكنهم جميعا أدركوا خطره الآن، والجديد هو اعتراف أحد منظري القاعدة الدوليين (عبد الله محمد)[2] بذلك[3]، الذي اعترف كذلك أن أصل وجود القاعدة في سوريا هو من صناعة عراقية، وأن القيادات المخترقة هي من أسس داعش في سوريا.

مرحلة التأسيس نعرفها أكثر من عبد الله محمد

فقد كان السيناريو واضحًا منذ البداية في العراق؛ فقد تم تهريب سُجناء القاعدة من سجون متعددة، ولم يتم التحقيق في ذلك، ثم تم تهريب المسؤول عن تهريبهم لخارج العراق وهكذا،

(*) كاتب عراقي.

(١) يبلغ تعداد الجيش والشرطة الشيعية أكثر من مليون مجند.
(٢) هو أحد منظري القاعدة، خاصة بالشؤون الجزائرية، له مدونة شؤون استراتيجية.
(٣) في مقاله الذي نشره بتاريخ الجمعة ٠٢ جمادى الثانية ١٤٣٤هـ، في (شؤون استراتيجية): هل «دولة العراق الإسلامية» مخترقة؟

والقاعدة بأفعالها تؤدي خدمات جليلة لإيران من جهة وحكومة المالكي في العراق، وحكومة بشار في سوريا، حتى لو لم تكن مخترقة فكيف مع الاختراق؟

والقاعدة لم تُخترق إيرانياً فقط، بل أُخترقت من عدة جهات، نذكر منها ما يخص العراق فالقوات الكردية ومخابراتها (الآسايش) كانت مسيطرة عليهم في نينوى، وتوجههم ضد العرب السنة بشكل واضح، لكن بعد تفجيرات أربيل في (٢٠١٣/١٠/٧) تضررت العلاقة بينهما؛ والقائد عمر حديد كانت له منذ الأشهر الأولى صلات مع المخابرات الروسية وتم تجهيزه بصواريخ ستريلا المضادة للطائرات والتي تحوي على كاميرات بواسطة إيرانيين في العراق، والزرقاوي كانت له صلات بالمخابرات الإيرانية، وتملك أجهزة المخابرات في الدول العربية وثائق خطيرة وكثيرة عن هذه العلاقات لكن الجميع لا يريد كشفها الآن.

مخطط داعش في سوريا والعراق مع إيران ومصلحة الطرفين:

تعمل (داعش) اليوم وفق مخطط كبير، فهي تعمل على تكوين قوس كبير يمتد بين العراق (المناطق السنية الحدودية) وسوريا، ويشمل مناطق البوكمال والرقة والحسكة صعودا إلى مناطق حلب وإدلب، والغاية هي السيطرة على مداخل الحدود العراقية والتركية وتكوين دولتهم وهي مصلحة مشتركة بينها وبين إيران، فإيران تريد إرسال رسائل إلى أمريكا وأوربا مفادها ما يلي:

أ – إن الإرهاب في حال سقوط بشار الأسد يكون قد وصل إلى الساحل الآخر من البحر المتوسط.

ب – إن القاعدة إذا ما سيطرت على سوريا فإن أمن إسرائيل والدول العربية الحليفة لأمريكا والغرب والمجاورة لسوريا لن تكون بمأمن من خطر الإرهاب.

وهذه الدولة الجديدة للقاعدة وجودها من مصلحة إيران وشيعة العراق، إذْ ستبقى مناطق السُنّة في المحافظات السنية الخالصة المحاذية لسوريا (نينوى، وصلاح الدين، والأنبار) قلقة ومسيطرا عليها من قبل القاعدة ومنبوذة دولياً (بسبب ربط العرب السنة بالتطرف والإرهاب) كي تبقى هيمنة الجيش الشيعي على مناطق أهل السنة في العراق.

أمّا سوريا فستبقى في احتراب داخلي بعد نهاية حكم بشار الأسد، في حالة تشبه حرب فصائل الأفغان بعد خروج الروس، وهذه قضية تم الاتفاق عليها في صفقة سان بطرسبرغ وتوافق بشأنها أركانها الأربعة (تل أبيب وواشنطن وطهران وموسكو) لتصفية الثورة السورية بعد عدّة محاولات باءت بالفشل مع مجموعة خطط إيرانية وإسرائيلية[1].

لكنّ العامل الجديد هو قدرة إيران على الإمساك بزمام الأمور بمساعدة روسيا أكثر من قدرة الأمريكان والإسرائيليين على ذلك، مما أخاف الجانب الأمريكي أن تتولد بؤرة من القاعدة غير مسيطر عليها، وتخوفت أكثر عندما بدأ تراجع السياسة الأمريكية في المنطقة على حساب سياسة روسيا، وتولدت عدة بؤر من الصراعات تشبه صراعات الحرب الباردة ، فأمريكا تضغط على روسيا في أوكرانيا، مما أدى لرد روسي بالتعاون مع إيران وحليفها في جنوب السودان لتفجر انقلابا بدعم روسي ضد حليف أمريكا هناك سلفاكير، ومن ضمن هذا الصراع الساحة العراقية والسورية.

لا تزال ورقة المالكي ورقة أمريكية إيرانية، والمالكي لا يستطيع أن يستمر بولاية ثالثة إلا بموافقة الدولتين، والانتخابات العراقية على الأبواب (نيسان/ أبريل ٢٠١٤)، والمالكي في زيارته

---

(١) مقال «الثورة السورية تواجه (داعش) والمخابرات العالمية» مهنا الحبيل، الجزيرة نت، ٢٠١٣/١٠/٢٤.

الأمريكية واجه عدّة مشاكل ووجهت له انتقادات بشكل واضح، وقد استعرض موقع (CFR) الأمريكي بعض التحليلات عن مستقبل المالكي، ولفت الموقع إلى أن رئيس الوزراء الحالي يضع عينه على فترة ثالثة من الحكم، كما أشار إلى أنّ احتمالية فوز المالكي بالانتخابات القادمة قليلة جداً؛ وأن وضع حزبه (حزب الدعوة) في انتخابات مجالس المحافظات كان صعباً جداً في ٢٠١٣، حيث أصبح ممثلو بقية الأحزاب الشيعية (الصدر+ الحكيم) هم الأغلبية المسيطرة على مجالس المحافظات في المناطق الشيعية وبغداد.

والغرب يريد المالكي بشكل مختلف، فنظام المالكي يشكل مصدر قلق واضطراب أمني في العراق لكونه يرعى مجموعات إرهابية ويمدها، ولكنه يضبطها أيضاً ويساوم واشنطن وحلفاءها عليها، والثمن الذي يطلبه مقبول أحياناً وغالٍ أحياناً أُخرى (كما يعبرون)، وهم قد لا يريدون تغييره كما يظن البعض، لكن المطلوب هو ترويضه وتحسين سلوكه عربياً وإقليمياً.

واليوم ومع الضغط الأمريكي على المالكي لضرب القاعدة والميليشيات، وضغط إيران التي زارها بتاريخ ٢٠١٣/١٢/٤، والتي أخبرها بالمطلب الأمريكي، أصبح المالكي في وضع لا يحسد عليه، ولكي يبقى عليه أن ينفذ أوامر الدولتين، فكانت عملية صحراء الأنبار بالسيناريو الآتي:

قامت القوات الإيرانية[١] بتسهيل اغتيال العميد الركن السُني محمد الكروي للتخلّص منه كعسكري سنّي[٢]، والأمر الآخر هو: التمهيد لشنِّ عملية واسعة في الأنبار تقضي على القاعدة (داعش) في الظاهر إرضاء لأمريكا التي زوّدته من خلال الأقمار الصناعية بمواقع تواجد داعش ومعسكراتها في الصحراء، والأمر الثالث هو أن العملية دعاية انتخابية فأصبحت داعش الدعاية الجديدة للمالكي في الانتخابات، التي ترضي الأمريكان عليه، وترضي ما ستفعله إيران من خلال العملية، ولكن السؤال، هل هذه العملية مفيدة للمخطط الإيراني؟

والجواب: إنّ إيران لا تصنع الأحداث وإنما تحاول توظيف الحدث لصالحها، إيران تشعر يوماً بعد يوم أن الثورة السورية تُفقدها حليفها في المنطقة (بشار الأسد) وأنّ ثمة حديثا من وراء الكواليس الدولية كمقدمات لمؤتمر جنيف ٢ أن لا مكان للأسد في حكم سوريا، وأن انتخابات سورية في ٢٠١٤ اقتربت، ولابدّ من أن تملك إيران بيدها أوراقاً جديدة قوية، وما تريده إيران هو أن تُسيطر على منطقة حلب التجارية؛ لأنها منطقة استراتيجية اقتصادية أكثر من دمشق؛ لذلك ركّزت منذ فترة على منطقتين:

الأولى: (الساحل) لتأمين الدولة العلوية إن وجد سيناريو التقسيم.

الثانية: على منطقة فعالة في سوريا فكانت حلب هي المنطقة القادمة.

ولتطبيق هذا السيناريو ركّز النظام في الأيام السابقة على ضرب ريف حلب بالبراميل لتحطيم معنويات المقاومة السورية هناك، في ذات الوقت يريد أن يتقدم ليسيطر على تلك المناطق دون أن يخفف وجوده في جبهته في دمشق وريفها، إذاً هو لا يريد سحب قوات من حزب الله ولا قوات أبي الفضل العباس العراقية؛ لذا كانت هذه العملية في صحراء العراق الغربية (الأنبار) لتأمين دخول كم كبير من الجنود والميلشيات من الحدود السورية العراقية تحت غطاء العملية العسكرية ولكي تبدو التحركات العسكرية في الأقمار الأمريكية المراقبة للحدود العراقية السورية وكأنها عمليات لقوات عراقية تلاحق داعش في الصحراء وصولا إلى الحدود، وهذا ما تمَّ عملياً في الأيام الماضية وتمَّ إدخال عدد كبير من الرجال الشيعة والإيرانيين والجنود العراقيين.

---

(١) عناصر الاستخبارات والجنود الإيرانيون متواجدون في صحراء الأنبار منذ أشهر عديدة.

(٢) وإن كان عمل للحكومة العراقية ضد الإرهاب، فهذا مصير كل سني أيّا كان ولاؤه للحكومة العراقية.

أمـا الـداخلون لـسوريا فهـم متطوعـون مـن شـيعة الخلـيج قَـدِموا قبـل أسـابيع لزيـارة كـربلاء بمناسـبة عاشـوراء وغيرهـا مـن مناسـبات الـشيعة عـبر مطـار النجـف بـصحبة عوائـل شـيعية، مـع قـوات شـيعية عراقيـة مـن الجـيش والـشرطة؛ ففـي العـراق تم تـسجيل هـروب أعـداد كـبيرة مـن الجـيش والـشرطة (بلـغ عـدد الهـاربين أكثـر مـن ٨٧ ألـف جنـدي وشـرطي) ولكـن حقيقــة هــؤلاء أنهــم في أداء الواجــب في ســوريا أو بانتظــار دوره، وهــؤلاء هــم وقــود المعــارك في الــشام بإشــراف، قائــد فيلــق القــدس في الحــرس الثــوري الإيرانـي، قاسـم سـليماني، المتواجـد حاليـا في سـوريا ليدير العمليات هناك[1].

السنة في العراق والقاعدة:

فـضحت مأسـاة أهـل الـسنة في العـراق علـى يـد القاعــدة وتجربــة المقاومــة حقيقــة فكــر القاعــدة ومفاسـده، فالـسنة هـم أول مـن حاربـه فكريـا، وعلـى أرض الواقـع كـذلك مـن خـلال الـصحوات، وخـف بـشكل كـبير احتـضان البيئـة الـسنية لهـم، لكـن الــذي أدى إلى رجــوعهم في المنــاطق الــسنية هــو الإقـصاء الطـائفي الـتي تمارسـه الدولـة علـى الـسنة متبعة عدة أساليب:

سياسة (فرق تسد):

مارسـت إيـران بواسـطة أتباعهـا (المـالكي وغـيره) تجـاه الـساسة والنخـب الـسنية سياسـة التفريـق، وهـذا لـيس تجنيـا علـى المـالكي بـل طرحـه تقريـر مجموعـة الأزمـات الدوليـة الـصادر في آب ٢٠١٣م بعنـوان: «**سـنة العـراق والدولـة: فرصـة كـبرى أو خـسارة فادحـة**»، فقـد زرع المـالكى صـراعا بـين خـصومه الـسنة حتـى اسـتمال بعـضهم وتـرك الـبعض الآخـر، مـستخدما النفـوذ والمـال، وهـذا مارسـه في أمـاكن متعـددة وفي المنظمـات الـسياسة والمدنيـة والدينيـة، وهـو نـاجح نوعـا مـا في هـذه الـسياسة، لكنـه مـع اقـتراب موعـد الانتخابـات يـزداد تـشنجاً خوفـاً مـن فقـدان المنـصب؛ لـذلك هـدد المـالكي - أثنـاء كتابـة هـذا المقـال- بحـرق خـيم المعتـصمين إذا لم يغـادروا سـاحات الاعتـصام، والحـديث موجـه لأهـل الأنبـار وسـبب ذلـك أنـه يخـشى الأنبـار وسـنتها أكثـر مـن غيرهـا، رغـم أن منـاطق الأنبـار منـاطق عـشائرية ورؤوس العـشائر- في الغالــب- قــوم يلــهثون وراء المناصـب والمـال والنـساء، ولا يهمهـم الـوطن، لكـن في العـشائرية ميـزة اجتماعيـة تحـسب لهـا وهـي العـصبية والعـصبة العـشائرية؛ لـذلك تفـنن المـالكي في طـرق محاربتهـا؛ مـرة بـالوعود الكاذبـة، ومـرة بـالتفريق بـين شـيوخ العـشائر، ومـرة بـإيواء القاعـدة، فاسـتطاع شـراء ذمـم الكثير منهم.

التحرش الطائفي:

تـدعم إيـران تكـوين الميليـشيات وعمليـات الـتفجير مـن أجـل اعتقـال المزيـد مـن الـسنة، وهـي تخطـط للـسيطرة علـى كـل مـن محـافظتي بغـداد وديـالى وإفراغهمـا مـن الـسنة بمخطـط مـدروس، وتـسعى لإقـصاء الـسنة فتهيـنهم وتـستفزهم بـشتى ألـوان الاستفزاز.

ولأنـه لا حـل لتحـسين وضـع أهـل الـسنة في العمليـة الـسياسية ولا في الحـراك فكأنمـا يقـال لأهـل الـسنة لا حـل لكـم إلا بـالثورة والـسلاح، وبمـا أن حركـات المقاومـة مـا وجـدت للاحـتراب الطـائفي وإنمـا لمقاومـة المحتـل، فهـي قـد ابتعـدت وذهبـت إلى رفـض الـصراع الطـائفي، وهـذا مـا يحـسب لهـا، ولكـن سـلوك الحكومـة المـستفز يـدفع النـاس إلى الفـصيل الجـاهز لهـذه المـشاكل وهـو القاعـدة فكـان حـال أهـل الـسنة كمـا قـال الـشاعر: «فمـا حيلـة المـضطر إلا ركوبهـا» وهـو مركـب دفعـوا إليـه قـصدا، ليكـون فخـا ومقـتلا لهم وقد حصل شيء من ذلك.

يـراد لمنـاطق الـسنة أن تنـشط فيهـا القاعـدة ليـصح تبريـر الحكومـة للاعتقـالات، بـزعم أن منـاطق الـسنة حاضـنة القاعـدة، وبحجـة محاربـة الإرهـاب سيُـصفى الـسنة، إنهـا خطـة يـراد لهـا أن تبقـى، وللإنـصاف فقـد مـارس الأكـراد في شمـال العـراق

(١) ولكـي يموّه على تواجد قاسم سليماني بدأ مقتدى الصدر يصرح بأنه أقوى رجل في العراق، وصرح آخر بأن قاسم يشرف على تدريبات في مناطق إيرانية، والغاية من ذلك كله التمويه على وجوده في سوريا.

بواسطة أجهزتهم الأمنية ذلك في محافظة نينوى فمكنوا القاعدة واستعملوها، ضد العرب في نينوى وكذلك في كركوك، وهكذا اضطر العرب في هاتين المحافظتين للاستعانة بالقاعدة ثم استعانوا بالحكومة المركزية (الشيعية) ضد الأكراد.

الحركة النسوية المغربية على مفترق الطرق

فاطمة عبد الرؤوف(*) – خاص بالراصد

تقف المرأة المغربية اليوم على مفترق طرق بين فكر الحداثة الغربي بفلسفته الفكرية المتكاملة التي تقوم على العلمانية في إدارة الحياة والليبرالية والحرية المطلقة في إدارة حياة الأفراد، وبين منهج إسلامي حضاري يقوم على مرجعية الدين الخاتم حيث أحد أوجه إعجازه صلاحيته لكل زمان ومكان وتوازنه وتكامله، فعلى الرغم من قوة الحركة الإسلامية المغربية بدليل اكتساحها للانتخابات إلا أنه ثمة مؤشرات متعددة لانتصارات جزئية للعلمانية هناك خاصة على صعيد قضايا المرأة والأسرة.

فمدونة الأسرة المغربية الصادرة عام ٢٠٠٤م احتوت على عدد من المخالفات الشرعية المتوافقة مع الرؤية العلمانية واتفاقية سيداو، ومن ذلك:

- منحت المرأة حق تزويج نفسها دون العودة للولي حيث نصت المادة ٢٥ من المدونة على أن: (للراشدة أن تعقد زواجها بنفسها أو تفوض ذلك لأبيها أو لأحد أقاربها).

- كما رفعت المدونة سن الزواج لثماني عشرة سنة حيث نصت المادة ١٩ على أنه: (تكتمل أهلية الزواج بإتمام الفتى والفتاة المتمتعين بقواهما العقلية ثماني عشرة سنة شمسية).

- كذلك وقفت المدونة موقفا بالغ التشدد إزاء قضية تعدد الزوجات حيث لا يمكن للرجل أن يتزوج مرة ثانية إلا بعد الحصول على إذن من المحكمة، وقد نصت المادة ٤١ من المدونة على أن (لا تأذن المحكمة بالتعدد: إذا لم يثبت لها المبرر الموضوعي الاستثنائي. إذا لم تكن لطالبه الموارد الكافية لإعالة الأسرتين وضمان جميع الحقوق من نفقة وإسكان ومساواة في جميع أوجه الحياة).

- ومن القضايا اللافتة للانتباه موقف المدونة من الطلاق فقد جعلت الطلاق حقا لكل من الزوجين فقد نصت المادة ٧٨ من المدونة على أن: (الطلاق حل ميثاق الزوجية يمارسه الزوج والزوجة كل بحسب شروطه تحت مراقبة القضاء وطبقا لأحكام هذه المدونة).

- والطلاق لا يمكن أن يقع إلا بقرار من المحكمة فقد نصت المادة ٧٩ من المدونة على أنه (يجب على من يريد الطلاق أن يطلب الإذن من المحكمة)، فإذا ما قبلت المحكمة بالطلاق وكان الطالب هو الزوج وجب عليه أن يقوم خلال ثلاثين يوما بإيداع جميع مستحقات الزوجة والأطفال في خزانة المحكمة دفعة واحدة وإلا اعتبر متراجعا عن طلبه الطلاق فقد نصت المادة ٨٢ من المدونة على أنه: (إذا تعذر الإصلاح بين الزوجين حددت المحكمة مبلغا من المال يودعه الزوج بكتابة الضبط بالمحكمة داخل أجل أقصاه ثلاثون يوما لأداء مستحقات الزوجة والأطفال)، أما المادة ٨٣ فقد نصت على أنه: (إذا لم يودع الزوج المبلغ المنصوص عليه في المادة ٨٣ أعلاه داخل الأجل المحدد له اعتبر متراجعا عن رغبته في الطلاق).

وعلى الرغم من أن جميع هذه المواد أدخلت على مدونة الأسرة المغربية بحيث تتماشى مع اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة (سيداو) يتم الادعاء في ديباجتها على احترام أحكام الإسلام حيث يرى واضعوها أنها (متطابقة مع أحكام الإسلام السمحة ومقاصده المثلى واضعة حلولا متوازنة ومنصفة وعملية تنم عن الاجتهاد المستنير المتفتح).

تشويه الاجتهاد

ولعله لا توجد كلمة شُوهت أكثر من كلمة الاجتهاد، التي أصبحت مرادفا للتغيير والتبديل والتحريف وتتبع الآراء الشاذة والساقطة من أجل

(*) كاتبة مصرية.

التوافق مع المقررات الأممية التي هي المثل الأعلى بالنسبة لهؤلاء غير أن صاحبات التوجه النسوي وحلفاءهن من العلمانيين الاشتراكيين أو العلمانيين الليبراليين يطمحون في المزيد، ويريدون إسقاط حتى ورقة التوت ويبذلون جهودا وحركة دؤوبة من أجل تلك التيارات التي تجاهر بمرجعيتها اللادينية لتغيير معالم المغرب الحضارية، هذه التيارات العلمانية هي في حلف وائتلاف واحد مع أنصار الحركة النسوية في المغرب.

إنهم يجتمعون ويعلنون بصراحة مطلقة أن الفكر النسوي وما يتعلق به من تغيير لطبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة لا يمكن أن يتأتى إلا عن طريق العلمانية الشاملة واعتبار أن التيار الإسلامي هو العدو الذي ينبغي أن يحطموا مكتسباته وليس العادات والتقاليد الظالمة.

تقول نجاة الرازي: (من القضايا الأساسية، التي تمحورت حولها النقاشات السياسية النسائية، تلك المرتبطة بالعلاقة بين النسائية «Féminism» والديمقراطية والحداثة والعلمانية، والدفاع عن الحريات الفردية، فبرزت تساؤلات تتعلق بدور الحركة النسائية في التغيير الاجتماعي، وبالضمانات السياسية المتاحة اليوم، لتفعيل المساواة بين النساء والرجال، في ظل وصول التيارات الإسلامية إلى الحكم، وما يشكله ذلك من تهديد للمكتسبات الحقوقية، ومن تقييد للحريات الفردية) [١].

إنهم يدعون صراحة لفصل الدين عن الحياة العامة حتى تكون الأرض ممهدة لغرس الأفكار النسوية فيها فتضيف الرازي: (هل تحمل الحركة النسائية اليوم، مطلب فصل الدين عن السياسة والتشريع، لتحصين المكتسبات، وانتزاع الحقوق وفق قيمة المساواة بين الجنسين، وهل يمكن للحركة النسائية، في ظرفية الصعود السياسي والامتداد المجتمعي للتيارات المعادية للمساواة، أن تلعب دورا تنويريا في مواجهتها للتقليد والانغلاق، وهل تستند الحركة النسائية إلى قاعدة اجتماعية تدعم الاختيار الحداثي، أم أنها تعمل ضمن سياق اجتماعي محافظ يناهض مشروعها ، وهل النخبة المثقفة العلمانية قادرة على المساهمة في تعبيد هذه الطريق مع الحركة النسائية، وما هي الأحزاب التي قد تتحالف حول مشروع مجتمعي علماني صريح، ووفق أي أجندة سياسية ممكنة؟).

في هذا المناخ أصبح المغرب بلا أي خطوط حمراء فأصبحت قضية كميراث المرأة التي هي من المعلوم من الدين بالضرورة محل جدل، بل إذا شئنا الدقة محل استنكار ورفض، (فقد تعهد إدريس لشكر، الأمين العام لحزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية المغربي المعارض بحماية حقوق النساء ومكتسباتهن السياسية والاجتماعية، وإلغاء جميع القوانين التمييزية ضدهن.

وطالب لشكر بفتح نقاش بشأن المساواة في الإرث، وهو المطلب الذي تتبناه المنظمات النسائية ذات التوجه اليساري. وقال لشكر: «بكل جرأة لا بد من فتح حوار جاد حول مطلب النساء بخصوص المساواة في الإرث» كما طالب بإلغاء جميع القوانين التمييزية ضد المرأة، مشيرا إلى أنه حان الوقت «لتجريم تعدد الزوجات بمنعه من مدونة (قانون) الأسرة، وتجريم تزويج القاصرات، وجميع أشكال العنف ضد النساء»[٢].

فلو أخذنا قضية تعدد الزوجات كمثال سنجد أن كل التضييق الذي مارسته المدونة لا يكفيهم وكأن نشر الأسرار الخاصة في قاعات المحاكم لا يشبع تطلعهم للقضاء على كل آثار هذا التشريع فهم يريدونه زواجا كاثوليكيا حتى يكون حقوقيا بامتياز، إنهم ببساطة يدعون لـ (تجميع النخبة النسائية والحداثية للتصدي لتهديدات الفكر الظلامي والنكوصي، ووضع استراتيجية

(١) نجاة الرازي، الحركة النسائية المغربية تبحث صيغا وحدوية تتصدى للفكر النكوصي.

(٢) (قيادي حزبي مغربي يدعو إلى المساواة في الإرث وإلغاء القوانين التمييزية ضد النساء)، جريدة الشرق الأوسط ٢٠١٣/١٢/٢٢.

لبناء تحالفات عضوية وهيكلة العمل)[١].

أهداف ووسائل

النجاحات التي حققتها الحركة النسوية في المغرب فتحت شهيتها للمزيد من النجاحات والطموحات التي يرفعن من سقفها حتى الدرجة القصوى فهن يطالبن بـ :

❖ (رفع التحفظات على الفقرة ٢ من المادة ٩ وعلى المادة ١٦ من اتفاقية القضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة «سيداو» وإعلان الانضمام إلى البروتوكول الاختياري الملحق بها خاصة حظر ومناهضة جميع أشكال التمييز المبني على النوع الاجتماعي، والمساواة بين الرجال والنساء في الحقوق المدنية، وتكريس المناصفة وإنشاء هيئة المناصفة ومجلس الأسرة والطفولة.

❖ اعتماد كوتا تمكن من الوصول إلى نتيجة الثلث على الأقل للنساء في جميع الوظائف والانتدابات المنتخبة انسجاما مع الدستور ومع العتبة الضرورية المخصصة للنساء من قبل الأمم المتحدة.

❖ سحب المغرب لإعلاناته التفسيرية على المادة ٢ والفقرة ٤ من المادة ١٥ من اتفاقية سيداو والتي لم يعد لها أي مبرر بالنظر لمقتضيات الدستور)[٢].

وهذه الأهداف المعلنة والمدعومة سواء من الدولة أو من الجهات المانحة تترجم لوسائل كثيرة كالندوات والمقالات بل وحتى التعليم، فمنذ عام ٢٠٠٤، تركز الرابطة الديمقراطية لحقوق المرأة نشاطها على التعليم.

وأطلقت مجموعة من النشطاء برنامجا ينتقل فيه بواسطة قافلة في المناطق الريفية في المغرب لتقديم دورات محو أمية ونشر المدونة المعدلة واستثمار التطور الذي طرأ على بعض مقتضيات الدستور المغربي في ما يتعلق بالحقوق والحريات والمساواة بين الجنسين، لمنحه محتوى واقعيا وتطبيقيا في صالح حقوق النساء كأفراد وكمواطنات.

فحتى برامج محو الأمية للنساء تعمل بمضامين نسوية حتى تصل الأفكار للقاعدة الشعبية من النساء اللاتي يتم تحريضهن من أجل هذا التغيير وبمنهجية تتناقض تماما مع المقررات الدينية التي لا يشار إليها ولو حتى من باب الاجتهاد المشوه (يعتبر التغيير في موقع النساء في المجتمع، سواء بالتوافق أو بانتزاع هذا التغيير من الجهات الوصية، إنما يدل إن دل على شيء على تغير نظرة المجتمع. و بالتوازي مع هذا التغيير، فإن علاقات القوة التي بقيت لصالح الرجل الذي احتفظ بالسلطة على المرأة، سواء أكان ذلك إراديا أو لا، سمحت بإثارة تشكيل الأدوار التي تؤطر فكرة إعادة تشكيل النظام المجتمعي في عمومه.

وفي هذا الصدد لا يمكن فصل ما هو عام عن ما هو خاص، لأن الأسرة هي اللبنة الأولى للمجتمع على مستوى التأطير بدءا من الميدان السياسي وصولا إلى علاقات إعادة الإنتاج وحق تصرف المرأة في جسدها)[٣].

«حق تصرف المرأة في جسدها» هذا الذي يدندنون حوله فينفونه أحيانا ويؤلونه أخرى ويعلنونه في أحيان كثيرة فهل تعي ذلك المرأة المغربية في أن معركتها على مفترق الطرق؟

إهمال القضية السُنّة العراقية لماذا؟ اعتقال النائب السني الدكتور أحمد العلواني نموذجا

عبد الهادي علي[*]– خاص بالراصد

أُعتقل قبل أيام النائب الدكتور أحمد العلواني وقُتل شقيقه بعد مداهمة قوات (سوات) وعدد كبير من عناصر الجيش العراقي (الشيعي) لمنزله، ومرّ أكثر من يوم ولم نجد صدى لذلك العدوان باستنكار من صديق أو دولة خليجية أو

---

(١) نجاة الرازي، مصدر سابق.

(٢) نقلا عن بيان الجمعية الديمقراطية لنساء المغرب بمناسبة اليوم الوطني للمرأة.

(٣) خنساء بكير، ترجمة يسين العمري، الحركة النسائية المغربية ما بين المطالب السياسية والنضال الحقوقي.

(❖) كاتب عراقي.

عربيــة أو منظمــة حقوقيــة، أمــا الــدول الغربيــة فسكوت مطبـق، وقبـل ذلـك بيـومين أُغتيـل في لبنـان وزيـر سـني سـابق هـو محمـد شـطح، فعجّـت وسـائل الإعــلام بالاســتنكارات والاعتراضــات، والعـــالم أجمــع يعلــم أن قاتــل الــوزير الــسني اللبنــاني هــذا ومعتقِـل النائـب الـسني العراقـي وقاتـل شـقيقه جهـة واحـدة، وهـي الأحـزاب والحكومـات الـشيعية في المنطقة.

هــذه الحادثــة تطــرح ســؤالا تــردد كــثيراً في أذهـان العـراقيين: لـماذا تهمَـل القـضية العراقيـة دائمـا مِـن قبـل أشـقائنا العـرب والمسلمين، وهـذا الإهمـال لا يقتـصر علـى الحكومـات، بـل يمتـد إلى النخـب الدينيـة والفكريـة والإعلاميـة، فهـل النـاس علـى ديـن ملوكهم، أم أن هناك شيئا آخر؟!

لا أسـتطيع الجـواب بـشكل كامـل علـى هـذا الـسؤال وأمثالـه لوحـدي، فمـن الـصعب أن ينفـرد مثلـي بـالجواب عليهـا، ولكـن بدايـةً أشـكر مجلـة الراصـد الـتي كانـت خلافـا لمـا نـتكلم، فقـد وعـت للقـضية العراقيـة منـذ أن صـدرت المجلـة، والعـراق وقضاياها يأخذان حيزا طيبا بين موضوعاتها.

لكــن مــساهمةً مــني في الجــواب علــى هــذا الـسؤال، أعتقـد أن الـسبب يتعلـق بجهـتين: الدولـة العراقية، وأهل السنة بالعراق أنفسهم.

أمــا مــن جهــة الدولــة: فــالعراق بلــد تــضرب الحــضارة في أطنابــه وأعماقــه، وعاصــمته بغــداد عاصـمة خلافـة العباسـيين، وهـو بلـد يعـرف العـدو قيمتَـه أكثـر مـن الـصديق، وتكـاد الـدول العربيـة الأساسـية هـي مـصر والعـراق والـشام وهـي مرتكـزات الحـضارة الثلاثـة، فالـدول الـصغيرة تخـشى العـراق سياسـة، والعـدو – علـى الأخـص اليهـود- يخـشون العـراق وأهلـه ديانـة، وفي العـراق خـيرات يُطمـع فيهـا، والعـراق في بدايـة القـرن العـشرين نهـض نهـضة متميـزة بـين جيرانـه؛ لـذلك وضـح التنـافس بـين الإخـوة العـرب، والخـــوف منـــه غـــدا واضـــحا، وأمتنـــا تـــشبه دول الطوائـف في الأنـدلس، أضـف إلى ذلـك أن صـعوبه أهـل العـراق وقـوتهم جعـل الـدول العربيـة تخـشاه أكثـر وأكثـر، وسـاهم في ذلـك تهويـل المـستعمر فهـو يخـوّف النـاس مـن حكوماتـه ومـن شـعبه، وفي العقـود الأخـيرة كـان لحـزب البعـث العربـي الاشـتراكي (الـذي حكـم ٣٥ سـنة) دور في ذلـك؛ فـالفكر القـومي والبعثـي فكـر يـصدر الثـورة للمجـاورين، ويـستطيع البعثيـون بنفط العراق شراء شخصيات كثيرة.

وجـاءت حادثـة دخـول العـراق الكويـت لتثبـت المخـاوف، لـذا تكالبـت دول الخلـيج علـى إسـقاط العـراق ومـساندة الأمريكـان علـى ذلـك، ولا أريـد أن أسترسـل لأبـيّن خطـأ هـذا الفعـل وأنـه كـان يمكـن معالجــة ذلــك بطريقــة أخــرى؛ لأن الواقــع يــتكلم وكـذلك الاعـتراف والحسرات، حتـى مـن الكـويتيين الـذين يمـلأ النـدم نفوسـهم علـى مـا فعلـوا، فقـد حطمـوا مـارد العـراق ليخـرج لهـم المـارد الـشيعي مـن قمقمه، وليومنا هذا.

بعـد احـتلال العـراق واتفـاق الإيـرانيين والـشيعة مـع الأمريكـان علـى بيـع العـراق لهـم، أصـبحت إيـران والعـراق مـع سـوريا وحـزب اللّه هـلالا شـيعيا يهـدد المنطقــة الـسنية بأسـرها، وتعـرض سـنة العـراق لمـا تعرضــوا، مــن ذبــح وتهجــير وإقــصاء، ولم يتحــرك العـرب إلا مـصة الوشـل، بـل تـآمر بعـضهم رغبـة ورهبـة مــن الأمريكــان في تثبيــت الحكــم للــشيعة، ولم يـستخدموا سـنة العـراق حتـى لمـصالحهم هـم، ولم يتخـذوا مـن رجـال العـراق ورقـة يـساومون بهـا أمريكـا الـتي اتفقـت مـع إيـران ضدهـم، فـضيقوا علـى المقاومـة العراقيــة أولا، وأهملــوا ســنة العــراق، بــل فرضــت السعودية علـى سـنة العـراق شخـصيات هـشة مـن أمثـال (غـازي عجيـل اليـاور) شخـصيات لا تـاريخ لهـا ولا هـمّ لها إلا النساء والمال.

وقـد كـان مـن المـستغرب أن الـسعودية رشـحت وزيــر الــدفاع بالوكالــة الحــالي ســعدون الــدليمي (المتـشيع أكثـر مـن الـشيعة)، وبلـد آخـر يرشـح عبـد الـستار أبـو ريشـة (مهـرب وقـاطع طريـق) للـصحوة ومـن ثـم أخـاه أحمـد أبـو ريـشة (نائـب ضـابط في الأمـن العراقـي الـسابق) بعـد مقتـل عبـد الـستار، وتركيـا آيـديولوجياً منحـازة للإخـوان (الحـزب الإسـلامي)، وغـير ذلـك مـن الشخـصيات؛ وكـأن العـراق عقـم أن يلـد رجـالا غـير هـؤلاء، فـلا أدري هـل تعـرف هـذه

الدول مصالحها إذ لم تعرف مصلحة العراق؟

لقد كان وما زال في العراق رجال من كل الأصناف؛ مقاتلون، ومفكرون وكفاءات، تستطيع هذه الدول أن تتخذ منهم شجا في حلق إيران وشيعتها، تحرج بها الاتفاق الأمريكي الإيراني وتفرض وضعا جديدا للمنطقة؛ لأن الدول الكبرى من جانب (روسيا وأمريكا)، والدول الكبرى بالإقليم (تركيا وإيران) تقسم الكعكة في المنطقة ولا تحسب لدولنا أي حساب.

واليوم وبعد أن دخلت الثورة السورية عامها الثالث وأحدثت تغييرا في المنطقة وفي الحسابات الغربية، نتساءل: لماذا لا تفتح دولنا العربية وتركيا جبهة العراق لتحرج إيران وأمريكا وروسيا، وأقصد بفتح الجبهة هنا، إثارة مظلومية سنة العراق العرب في المحافل الدولية، وتستخدم مفكرين وعقول العراقيين لصالح أمنها القومي؟ سؤال ينتظر الجواب.

أما من جهة أهل السنة بالعراق: فلا شك أنهم قصروا في التعريف بقضيتهم، وإخوانهم من أهل فلسطين وأهل سوريا بعد الثورة لم يكونوا مثلهم ونجحوا في التعريف بقضيتهم بشكل جيد، وهناك خمول إعلامي واضح وتضييع وتأخر، وهم يعتبون على غيرهم ولا يقدمون هم لأنفسهم شيئا؛ وأضرب لذلك أمثلة:

أين هي مراكز حقوق الإنسان التي تقدم شكاوى على الحكومة العراقية الشيعية؟ كم هو عدد الكتب التي كتبها العراقيون ونخبهم لبيان قضيتهم؟ أين دعم أثرياء سنة العراق للقضية ولماذا ترتهن النخب العراقية لأموال دول الخليج وغيرها!!

لقد ساهم نخب السنة في تضييع قضيتهم؛ بخلافاتهم السياسية كخلافهم حول مشروع الإقليم السني قبولا ورفضاً، والتي وصلت لحد التخوين والتصادم مع بعضهم البعض، وأيضاً كانت محاولات البعض لنصرة القضية السنية العراقية عبر طرح إعلامي مستفز ومليء بالشتائم غير المقبولة إعلاميا، مع التأخر في الطرح والتحرك بعد الأحداث وليس قبلها، هو نوع آخر من تضييع القضية السنية العراقية.

الخلاصة: إن الدول العربية كانت تخشى العراق بسبب تحركات حزب البعث وتآمره على دولهم، فكانت غالبا سلبية تجاه العراق.

أما اليوم وقد سقط حزب البعث، أصبح أكبر عنوان يمثل السنة العراقيين هم جماعة الإخوان المسلمين، وبسبب العلاقات غير الجيدة بين الإخوان وسائر الأنظمة العربية تضررت القضية السنية العراقية ولم تحظَ باهتمام دول الجوار.

لا نريد اليوم أن نقيّم صحة هذه المواقف لأن الوقت لا يتسع لذلك، ولأن العلاقة بين الإخوان والأنظمة العربية أصبحت أكثر تعنتا بسبب الثورات العربية والانقلاب في مصر، وبسبب علاقات الإخوان مع إيران والشيعة (بعد الانقلاب في مصر).

وبذلك أصبحت القضية السنية العراقية ضحية تقصير الجمهور السني العراقي، وضحية الإرث التاريخي لحزب البعث، وضحية علاقات الإخوان المسلمين السيئة بالدول العربية، والجيدة بإيران والشيعة، عدوة سنة العراق!!

المطلوب من سنة العراق أن يكثروا من التعريف بقضيتهم ولا يكثروا من لوم الدول وإن قصرت أو تقاعست أو تآمرت؛ لأن مصيرنا جميعا واحد، وإذا بعثا بريدا فلنبعثه حسن الوجه وممن يرضونه هم، ولا وقت للتلاوم وفتح الحسابات القديمة، فالعدو الإيراني والشيعي لن يرحم أحدا، لا سنة العراق ولا سنة الخليج ولا الأتراك.

إن سلوك العرب يوحي بأنهم ينتظرون مِن الذي باع العراق أن يفتح ملفه من جديد، وهذا كـ (عشم إبليس في الجنة)، فالحقوق لا تستجدى من عدو وإنما تؤخذ الدنيا غلابا، ولا ننس حادثة البحرين وكيف بتحرك بسيط من السعودية أوقفت المؤامرة الأمريكية مع إيران ضد البحرين.

وكلمة أخيرة لأهل العراق أقول: لا تيأسوا من إخوتكم العرب السنة وتفننوا في عرض قضيتكم لهم واسلكوا كل السبل لذلك، وليس في طلب الأخ من أخيه ذلة فنحن أذلة مع بعضنا البعض، وفي مركب واحد، وقديما قال الشاعر:

أَخْلِق بذي الصبر أن يحظى بحاجته

ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

الحراك الشيعي في السعودية
تسييس المذهب ومذهبة السياسة

عرض: **أسامة شحادة**(*)– **خاص بالراصد**

صدر هذا الكتاب سنة ٢٠١٣ عن الشبكة **العربية للأبحاث والنشر**، وهو من تأليف بدر الإبراهيم ومحمد الصادق، وهما من الشباب الشيعي المثقف ذوي الخلفية العلمانية الليبرالية، وقد أحدث الكتاب ضجة في الأوساط الثقافية السعودية الشيعية والسنية على حد سواء، ويقال إنه بيع منه ٥٠٠٠ نسخة في معرض الرياض لسنة ٢٠١٣.

الكتاب يقع في ٣١١ صفحة من القطع الكبير، وقد تناول قضيتين:

الأولى: الترويج للحل العلماني (المواطنة) لإنهاء التوتر والظلم الواقع على الشيعة وبقية (الأقليات) بالمملكة العربية السعودية من قبل الوهابية/ نجد!!

وقد بدأ الكتاب وانتهى بهذه القضية، عبر تقديم المؤلفين رؤية تحليلية لواقع المملكة تستند على نظرة عبدالله العروي حول هوية الدولة، والتي تقوم على تاريخ مشترك ومصلحة مشتركة، ومن هنا يبدأ المؤلفان بناء رؤيتهما وهي أن (المذهبية الوهابية) لا تشكل تاريخا مشتركا ولا مصلحة مشتركة لمكونات المملكة، والحل عندهما هو اعتماد العروبة كرابطة ثقافية لمكونات المجتمع السعودي، لبناء دولة المواطنة، في إزاحة واضحة للإسلام كهوية مشتركة لأبناء المملكة! وقد يكون هذا لفتح المجال لغير المسلمين في الدخول تحت رابطة العروبة!!

طبعاً في هذا كله يجعل المؤلفان أن الدولة والعلماء (الوهابيين كليهما) هما المسؤولان عن التوتر الطائفي، وأن تصرفات الشيعة الطائفية هي ردة فعل، زاد من حدّتها الثورة الخمينية وانتصار شيعة العراق بعد الاحتلال الأمريكي له!!

القضية الثانية: وهي التي تعطي الكتاب

(*) كاتب أردني.

أهميته ومكانته، من خلال استعراض التاريخ الاجتماعي والثقافي والسياسي لشيعة القطيف بين سنتي (١٩٧٩ – ٢٠١١م).

ومن المآخذ على الكتاب أن عنوانه يحمل اسما عاما (شيعة السعودية) لكن مضمونه اقتصر على شيعة القطيف بشكل مكثف، وأيضاً اعتمد المؤلفان على الشهادات الحية لكثير من الفاعلين دون التصريح بأسماء بعضهم، فأعطى ذلك قيمة للكتاب من ناحية، وفتح الباب للطعن فيه من ناحية أخرى.

لكن الكتاب يقدم خريطة واضحة لأول مرة لتنوعات وتباينات وتحولات القوى الشيعية في القطيف في تلك المرحلة، وهو ما يحتاج إلى مزيد من الدراسات والأبحاث حتى تظهر الصورة الكاملة من خلال فحص عدة رؤى لتلك الأحداث فيثبت الصحيح منها بالأدلة ويسقط الزائف منها والقائم على الدعاية وترويج الأكاذيب وتصفية الحسابات بين الفرقاء.

يقسم المؤلفان شيعة القطيف إلى:

- تيار تقليدي مرتبط بالنجف، ويقتصر على المسار الفقهي ويرفض العمل السياسي، ويسميه تيار الخوئي، لكونه المرجع الأعلى في تلك المرحلة وأكثر المراجع تقليداً في منطقة القطيف والإحساء، وهؤلاء يميلون لعدم التصادم مع الدولة.
- وتيار الشيرازيين، ويقدم الكتاب معلومات مهمة عن نشأة هذا التيار وتطوراته وتحولاته، فالسيد محمد الشيرازي كان من مؤسسي فكرة حزب الدعوة العراقي، لكنه رفض اسم (حزب) لأنه اسم غربي، وكان يؤمن بولاية الفقيه قبل الخميني، وقام طلابه بزعامة ابن أخته محمد تقي المدرسي وأخيه هادي المدرسي بإنشاء تنظيم سياسي باسم (حركة الطلائع الرساليين) عام ١٩٦٨، ولما انتقل الشيرازي للكويت عام ١٩٧٠، شملت مظلته مجموعة من الدعاة التقليديين بقيادة أخويه حسن وصادق، وضمت أشخاصا من عائلتي الفالي والقزويني ركزت على التبشير الشيعي، والمجموعة الحركية (الرساليين).

دخل تيار الشيرازي للسعودية من خلال بعض الطلبة السعوديين الذين درسوا في حسينية الرسول الأعظم بالكويت التي أسسها الشيرازي، مثل: توفيق السيف، وحسن الصفار، وأصبح لهم نشاط ملموس بالقطيف مما جعلهم يصطدمون بالتيار التقليدي، ثم تم إرسال الصفار للتبليغ بعُمان، كما أُرسل توفيق السيف للبنان للتدريب على السلاح في معسكرات حركة فتح.

بعد نجاح الثورة في إيران، تحمس الشيرازيون كثيرا لها، خاصة أن الشيرازي كان على علاقة قوية بالخميني، وكان يظن نفسه شريكا للخميني في الثورة، ولذلك ذهبت قيادة الرساليين لطهران وأصبح لها معسكر خاص بها تستقبل فيه الشباب الخليجي التابع لها.

قام الصفار بالإشادة بالثورة الخمينية في مجالس عاشوراء بشكل تحريضي على الدولة، ما أدى إلى صدامات مع الشرطة، فغادر الصفار إلى إيران هربا من الاعتقال، وهناك طلبت منه الحركة تأسيس منظمة الثورة الإسلامية بالجزيرة العربية.

بقي الصفار والمنظمة يقودان المعارضة ضد المملكة حتى عام ١٩٨٦، حيث تم عزل منتظري الداعم لهما، وصعود خامنئي/ رفسنجاني، اللذين قلصا نشاط الحركة، وجاء تورط الحركة بفضح صفقة إيران غيت ليسرع من إجبارها على الرحيل من طهران، وكان تفرد الخميني بالقرار وإهمال الشيرازي الدافع له ليطور نظرية ولاية الفقيه إلى

ولاية الفقهاء!

بعد الهجرة القسرية عن إيران حدثت مراجعات في التيار الشيرازي السعودي، فانفصلت عن حركة الطلائع الرساليين، وتحولت عن العمل الثوري إلى العمل السياسي في لندن وتغير اسمها للحركة الإصلاحية، بقيادة توفيق السيف بدلا من الصفار صاحب النزعة الفردية.

نشطت الحركة في الجانب الإعلامي والحقوقي، مما أضر بالمملكة، وجاء احتلال الكويت وبروز معارضة سنية ضد الاستعانة بالقوات الدولية، لتسرع من إنضاج الحوار بين الشيعة والدولة ويصل للعفو الملكي سنة ١٩٩٣، والعودة للوطن. اندمج الصفار وتوفيق السيف في المصالحة وأصبح هذا خيارهما، وخاضا سلسلة طويلة من الحوارات واللقاءات الرسمية والشعبية والدينية، لكن فؤاد الإبراهيم وحمزة الحسن سرعان ما عادا للندن وواصلا المعارضة بسقف أقل من السابق.

بعد وفاة المرجع الشيرازي، طرح محمد تقي المدرسي وصادق الشيرازي نفسيهما مرجعين، لكن الصفار أعلن تقليده للسيستاني، وبذلك قطع الصفار علاقته الدينية بالشيرازيين كما سبق أن قطع العلاقة السياسية بالانسحاب من حركة الرساليين، وتبعه غالب التيار. ومَن بقي من الشيرازيين انقسموا بين تقليد المدرسي وصادق، وبهذا أصبح ثقل الشيرازيين محصورا في الكويت.

والذين قلدوا صادق الشيرازي بقوا في الخط التبشيري والغلو المذهبي، والذين قلدوا المدرسي أصبحوا يمثلون الخط الرافض للحوار والمصالحة مثل نمر النمر ومحمد حسن الحبيب، الذين يتبنون الضغط على الدولة من خلال تهييج الشارع ضدها.

في سنة ٢٠٠٨ تفجر الخلاف المكبوت بين الصفار وبين معارضة لندن (فؤاد الإبراهيم وحمزة الحسن) وطالبوا بالانفصال، وهو المطلب الذي وافقهم عليه نمر النمر ودعا إليه.

- التيار الثالث هو تيار حزب الله الحجاز، وهو يتبع فكريا لتجمع للعلماء الشيعة المقلدين للخميني مثل حسين الراضي وهاشم الشخص وعبدالكريم الحبيل، وأطلق عليه (خط الإمام)، وأصبح لهم نشاط سياسي يزاحم التيارين التقليدي والشيرازي من عام ١٩٨٩، ولم ينخرط هؤلاء مباشرة في العمل العسكري.

أما الجناح العسكري فقد تكون بعد فشل اضطرابات حج عام ١٩٨٧م، فأراد الحرس الثورى الانتقام، فعرض على منظمة الثورة (الشيرازية) تسليحها لهذه الغاية، لكنهم كانوا قد نبذوا العمل الثوري، فلجأ الحرس الثوري لبعض المنشقين عن منظمة الثورة والرافضين للمسار السياسي الجديد، فنفذوا بعض العمليات الصغيرة ثم كانت عمليته الكبيرة والوحيدة تقريبا تفجير الخبر سنة ١٩٩٦، بقيادة أحمد المغسل، والتي تفكك الحزب بعدها.

هذه أبرز ملامح الخريطة الشيعية بحسب الكتاب الذي في دفتيه الكثير من التفاصيل والمعلومات المهمة للباحثين عن الحراك الشيعي بالقطيف.





والفضل ما شهدت به الأعداء

قالوا: الكاتب الصحافي أحمد طاشغيتيران يشير في مقاله الأخير الذي ودّع به قراء صحيفة «بوغون» التابعة لجماعة كولن، إلى أنه لا يرى القضايا الأخيرة مجرد قضايا فساد بل يعتقد أنها امتداد لمعركة أخرى، في إشارة إلى الصراع على السلطة. وأما الكاتبة الليبرالية غولاي غوكتورك فتلفت إلى البعد السياسي للقضايا وأن العملية تم التخطيط لها بعناية من حيث التوقيت والأهداف، وتشدد على ضرورة تصفية المنظمة التي تغلغلت في المؤسسات الحكومية وأجهزة الدولة كدولة داخل الدولة، وتصفها بـ «الخطر الذي يهدد الجميع»، وتشير إلى أنه لا يرى أحد نفسه في الأمان قبل تصفية تلك المنظمة.

الكاتبان نديم شينير وأحمد شيك، هما صحافيان معارضان للحكومة التركية، وتم اعتقالهما في قضية أرغينيكون، وأطلق سراحهما في ربيع ٢٠١٢. وكانت الحكومة التركية تعرضت لانتقادات واسعة آنذاك واتُّهمت بالتضييق على حرية الرأي والصحافة، إلا أن الكاتبين الصحافيين يتهمان الآن جماعة كولن بالوقوف وراء اعتقالهما وليست حكومة أردوغان، بسبب كتاباتهما لكشف التنظيم السري للجماعة في أجهزة الشرطة.

إسماعيل باشا،
العرب القطرية ٢٠١٣/١٢/٢١

من يفهم؟

قالوا: لكي يكون تقارب وانفراج، حوار وتطبيع، بين دول الخليج وإيران، لا بد للجانب العربي من أن يعرف أولاً مع أي ايران يتعامل. فإيران «الجديدة» لم تتضح معالمها بعد، أما التي اختُبرت طوال الخمسة والثلاثين عاماً الماضية فتثير الشكوك والمخاوف بهياجها المنهجي، المنفلت أحياناً كثيرة، خصوصاً في ممارسات ميليشياتها في لبنان والعراق.

عبدالوهاب بدرخان -
الحياة ٢٠١٣/١٢/١٢

هل كسبت السعودية فعلاً؟

قالوا: هناك من يظن، ويقول، إن السعودية خسرت إقليميا، وباتت في أسوأ حالاتها. طبعا هذه وجهة نظر. ولي وجهة نظر أخرى ترى الواقع بصورته الأشمل، لا معركة القلمون السورية، أو مناورات إيران التفاوضية مع الأميركيين. رأيي أن حصاد السنوات الثلاث الماضية جاء بنتائج أكبر مما كان يرجوه السعوديون. ونحن نتحدث عن اليوم، كما هو عليه، أما المستقبل فالله به عليم، لأننا نسكن منطقة رمال متحركة....

اليوم، الصورة مختلفة.. إيران وصلت إلى حد التخلي عن سلاحها النووي، والقبول بالتفاوض مع الأميركيين نتيجة محاصرة صادراتها البترولية ومبادلاتها التجارية، وقد عبر عن الحالة الإيرانية البائسة هاشمي رفسنجاني قائلا: «لقد بلغت إيران حد الاستسلام أو الهزيمة».

خذوا حزب الله، الذي كان تنظيما حديديا لا يُقهر، وكان بطلا لا يجوز حتى انتقاده، وأمينه العام الذي انتشرت صوره في البقالات وعلى زجاج سيارات الأجرة في الدول السنية، لا الشيعية فقط.. اليوم، أصبح الحزب عدوا مكروها من غالبية العرب، نتيجة مساندته للأسد، ومشاركة ميليشياته حمام الدم ضد الشعب السوري. أما النظام السوري، الذي عجز المجتمع الدولي

عن وقف جرائمه في العقد الماضي، فعمليا تهاوى، اليوم هو جنازة تنتظر الدفن. قد لا تولد بدائل جيدة للقذافي والأسد، إنما صارت أعتى الأنظمة وأشرسها من الماضي. وبضعف إيران، والأسد، وحزب الله، ضعف حلفاؤهم، مثل حركتي «حماس» و«الجهاد».

اليمن، هو الآخر، جاء إسقاط رئيسه علي عبد الله صالح خبرا مريحا للسعودية. لم يكن عدوا بل كان شوكة في خاصرتها. فقد ظل يتكسب من الخصوم، ويقوم بدور الأجير لكل من اختلف مع الرياض.. صدام العراق، والقذافي، والدوحة، وطهران، بل وحتى «القاعدة» التي تساهل معها ضد السعودية، لولا العصا الأميركية التي رُفعت ضده.

عبدالرحمن الراشد

– الشرق الأوسط ٢٠١٣/١٢/٢١

من يخدع من؟

قالوا: خلال زيارته للفاتيكان، التقطت صورة للرئيس الروسي فلاديمير بوتين إلى جانب البابا فرنسيس، منحنيا يقبل أيقونة العذراء مريم. مشهد يستحق التوقف: أيهما بوتين الحقيقي؟ ضابط الـ «كي جي بي» الشيوعي في برلين الشرقية أم الرجل الذي ينحني مقبلا الأيقونة؟ إلحادي ما قبل سقوط السوفيات أم أرثوذكسي ما بعد سقوطهم؟

سمير عطا –

الشرق الأوسط ٢٠١٣/١٢/٩

حين نكون كرجل طاولة!

قالوا: إذا تجاوزنا المربعات الصغيرة ونظرنا إلى القوى الإقليمية وأجنداتها وحالة المنطقة اليوم، فسنجد أننا أمام مشروع إيراني قومي توسعي، وآخر إسرائيلي، وثالث تركي، وكتل سنية، بالمعنى الاجتماعي الديمغرافي السياسي، في كل من سورية والعراق ولبنان، تفتقد إلى المعنى والحماية والمجال الإستراتيجي، بينما القوى السنية العربية في حالة من التخبط والغيبوبة. وإلى حين قيام رؤية عربية عقلانية واقعية، تمكننا من الجلوس إلى الطاولة، فإننا سنبقى على الطاولة، كموضوع، لا كفاعل! فيما تتكفل «القاعدة» بملء الفراغ وتقديم مشروعها السني، الذي نختلف معه بالضرورة.

د. محمد أبو رمان

– الغد الأردنية ٢٠١٣/١٢/١٣

جردة حساب

قالوا: لا شك في أن الإسلاميين كسبوا من «السياسة» وخسروا من الانفراد بـ«السلطة».. وهي قسمة مرضية نسبيا، وربما تخفف من مرارة التجربة، صحيح أن الإسلاميين لم ينصتوا جيدا، للنصائح التي أوصت بالتخلي لسنوات، عن طلب الحكم، لأسباب تتعلق بثقل التركة، التي خلفتها الأنظمة القومية القمعية التي تأسست عقب الاستقلال في خمسينيات وستينيات القرن الماضي «العشرين»، وأزعم أن الاستقواء بـ «العدد» وليس بـ «العقل» والمقاربات السياسية الرصينة والحكيمة، ربما ورط الإسلاميين في واحدة من أخطر «المحن» التي مروا بها، وربما علقت إلى أجل غير مسمى، على الأقل، صوغ رأي عام من خارج الحالة الإسلامية، يتعاطف مع «المشروع الإسلامي» ورسالة الإسلاميين إلى العالم....

غير أن ثمة مكاسب حصدها الإسلاميون بلا شك، على رأسها انتظامهم في تجليات الحداثة السياسية، وتراجع إلى حد كبير وبشكل غير مسبوق «فقه العزلة» ـ إذا جاز التعبير ـ وقبولهم بالتحول إلى أحزاب سياسية، والمشاركة في الانتخابات البرلمانية والرئاسية وما شابه، وهي خبرة جديدة، تلقي وراء ظهرها مرحلة التشرنق داخل «الخبرات الأمنية» ورؤية العالم بشكل مختلف، جعل الإسلاميين جزءا منه، بعد أن أمضوا عقودا طويلة خارجه.

محمود سلطان –

المصريون ٢٠١٤/١/١



تركيا.. صراع بين الحكومة والجماعة

إسماعيل باشا – الجزيرة نت ٢٠١٣/١٢/٢١

ظل حزب العدالة والتنمية برئاسة رجب طيب أردوغان منذ تأسيسه واستلامه للسلطة بعد أول انتخابات خاضها في ٣ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠٢، متحالفا مع القوى الليبرالية وجماعة فتح الله كولن ذات النفوذ الواسع.

وهذا التحالف حارب خلال عشر سنوات تسلط القوى العلمانية المتشددة، وشبكة أرغينيكون الإجرامية المعروفة بـ«الدولة العميقة»، وسعى لتعزيز الديمقراطية والحريات، ولكنه انهار بعد تراجع نفوذ العسكر ومحاكمة الانقلابيين، وزوال «العدو المشترك» الذي كان يجمع هذه الأطراف الثلاثة.

أول تصدع لافت في التحالف المذكور كان انشقاق بعض الليبراليين وانضمامهم إلى صفوف المعارضين للحكومة، بعد اتهامها بـ«التلكؤ» في إنجاز الإصلاحات المطلوبة، ومساعي الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.

بيد أن الحكومة دافعت عن نفسها قائلة، إن هؤلاء الليبراليين يريدون الوصاية على الحكومة وتوجيهها وفقا لآرائهم، ولو كانت تلك الآراء تتعارض مع توجهات القاعدة الشعبية المحافظة للحزب الحاكم.

استدعاء المدعي العام التركي صدر الدين صاريقايا، في فبراير/ شباط ٢٠١٢، رئيس الاستخبارات هاكان فيدان، للإدلاء بأقواله بصفته مشتبها به في قضية اللقاءات مع قادة حزب العمال الكردستاني، أدى لأزمة مفاجئة بين حزب العدالة والتنمية وجماعة كولن، حيث رأى رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان أن هذه الخطوة تستهدفه مباشرة، وقامت الحكومة بتمرير قانون من البرلمان يشترط موافقة رئيس الوزراء قبل استدعاء رجال الاستخبارات.

العلاقات بين الحزب الحاكم في تركيا وجماعة كولن لم تعد بعد تلك الأزمة كما كانت قبلها، حيث صعَّد الكتَّاب المنتمون إلى الجماعة لهجتهم في انتقاد الحكومة، متهمين أردوغان بـ«السلطوية» و«الدكتاتورية».

ومع إعلان الحكومة قبل أسابيع خطتها لإغلاق مراكز الدروس الخاصة، ارتفع مستوى التوتر بين الحكومة والجماعة وتفاقمت الأزمة، واندلعت حرب إعلامية غير مسبوقة.

مآخذ الجماعة على الحكومة

جماعة فتح الله كولن هي إحدى الجماعات النورسية التي تتبع مدرسة العالم الشهير سعيد النورسي الملقب بـ«بديع الزمان»، ويطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى زعيمها المقيم في ولاية بنسلفانيا الأميركية، وتتمتع بنفوذ واسع داخل تركيا وخارجها، وتشتهر بأنشطتها التعليمية والثقافية ومدارسها المنتشرة في جميع أنحاء العالم.

وتسمى أيضا «حركة كولن» أو «حركة الخدمة» كما تحب الجماعة أن تطلق على نفسها.

الأزمة الأخيرة بين الحكومة والجماعة قد تبدو في الوهلة الأولى متعلقة بمصير مراكز الدروس الخاصة، التي تقوم بتهيئة الطلاب للاختبارات العامة لقبول

الجامعات، إلا أنها أعمق من ذلك بكثير، ولها أبعاد أخرى تتعلق بالآراء السياسية والخلفيات الفكرية ودور الجماعات وعلاقاتها مع الأحزاب.

ويلاحَظ هذا بوضوح في مجمل الانتقادات والاتهامات التي يوجهها كل طرف ضد الآخر.

وإذا أردنا أن نذكر أبرز مآخذ الجماعة على حكومة أردوغان يمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

أولا: حكومة أردوغان انحرفت في السنوات الأخيرة عن مسار الإصلاح وتعزيز الديمقراطية ولم تنجح في صياغة دستور جديد للبلاد، واتجهت نحو الشرق الأوسط وتراجعت مساعي الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي.

ثانيا: خلق المشاكل مع إسرائيل يبعد تركيا عن المعسكر الغربي ويقربها من إيران وروسيا والشرق الأوسط، ويجب على الحكومة التركية الابتعاد عن إثارة المشاكل مع تل أبيب في الوقت الراهن، لأنها ليست في صالح تركيا ولا داعي لها.

ثالثا: أردوغان الذي انشق عن تيار أربكان وأعلن تخليه عن «شعاراته الفارغة» قائلا، إنه «خلع ذلك القميص»، كأنه لبس مجددا القميص نفسه وابتعد عن الواقعية في السياسة الخارجية، وتبنى أسلوب المغامرة في سوريا ومصر، ما أدّى إلى التخبط وخسارة تركيا حلفاءها.

رابعا: جماعة كولن تؤيد سياسة الانفتاح على الأكراد وتدعم المصالحة، ولكن لديها بعض التحفظات حول تعاطي حكومة أردوغان مع هذا الملف، وترى أنها تقدم تنازلات لحزب العمال الكردستاني، الذي يستغل أجواء المصالحة لتكثيف دعايته، وإعادة انتشار عناصره دون أن ينسحب من الأراضي التركية أو يلقي السلاح.

خامسا: موقف حكومة أردوغان من إيران يتسم بالعاطفية وحسن الظن المبالغ فيه، وليس المطلوب من الحكومة معاداة إيران، ولكنه يجب الحذر من سياسة طهران الطائفية وأهدافها التوسعية، وكذلك من محاولات الاختراق.

وهناك كثير من الموالين لإيران ومدرسة الخميني الفكرية في حزب العدالة والتنمية وحول أردوغان، ما يلقي بظلاله على توجهات الحكومة.

سادسا: حكومة أردوغان تستهدف الجماعة وتحاول التضييق عليها، من خلال إبعاد المنتمين إليها عن المناصب الهامة، وإغلاق مراكز الدروس الخاصة التي تعد من أبرز أنشطة الجماعة التعليمية والاقتصادية.

وأما اتهام الجماعة بمحاولة السيطرة على مفاصل الدولة، فهو اتهام باطل لا أصل له، ومن الطبيعي تعيين أعضاء الجماعة المؤهلين في مناصب حكومية مرموقة ليخدموا بلادهم.

سابعا: جماعة كولن تقف سدا منيعا أمام انتشار التوجهات الانفصالية والاختراق الإيراني، خاصة في المناطق ذات الأغلبية الكردية، ولصالح من يتم استهدافها؟

رد الحكومة على الاتهامات

وفي المقابل، ترفض الأوساط الحكومية والمقربة منها هذه الانتقادات والاتهامات التي توجهها جماعة كولن إلى حكومة أردوغان، وترد عليها بما يلي:-

أولا: جماعة كولن تريد المشاركة في الحكم دون أن تتحمل مسؤوليتها السياسية، ولا يمكن للحكومة تسليم الحكم الذي منحه لها الشعب التركي عبر صناديق الاقتراع أو جزء منه، إلى جماعة لم تخض الانتخابات، لأنه يعتبر وصاية على الإرادة الشعبية.

وليس بوسع الحكومة أن تتخلى عن الأمانة التي حمّلها الشعب، وأن تسلم إلى الجماعة جميع المناصب التي تطلبها، مثل رئاسة الاستخبارات وغيرها من المناصب الحساسة.

ومن غير المقبول في النظام الديمقراطي أن تكون هناك دولة داخل الدولة، وإن كانت الجماعة تسعى إلى حكم البلاد، فعليها تأسيس حزب سياسي لتخوض به الانتخابات، وتطلب من الشعب أن يمكنها من تشكيل الحكومة وحدها، أو المشاركة فيها.

ثانيا: الجماعة عاشت أفضل أيامها خلال السنوات العشر الأخيرة في عهد حكومات حزب العدالة والتنمية، وكانت القوى العلمانية تسعى لتصنيف جماعة كولن كمنظمة إرهابية، ولكن حكومة أردوغان حالت دون

ذلك بتغيير قانون مكافحة الإرهاب.

وبالتالي، اتهام الحكومة بالتضييق على الجماعة لا أصل له، بل أردوغان نفسه تدخل لمنع إغلاق مدارس الجماعة في روسيا، محذرا بوتين من أن خطوة من هذا القبيل قد تفسد العلاقات التجارية بين البلدين.

ثالثا: قرار إغلاق مراكز التعليم الخاصة لا يستهدف الجماعة، بل هو جزء من برنامج متكامل يرمي إلى إصلاح نظام التعليم الحالي، الذي يحمل الطلاب أعباء إضافية ويثقل كاهل الأسر.

وكان الأستاذ فتح الله كولن قد اقترح على الانقلابيين أيام التدخل العسكري في ١٩٩٧ أن يسلم إليهم مدارس الجماعة ومراكزها، فلماذا الجماعة الآن تدافع عنها بشراسة وكأنها مسألة حياة أو موت؟

رابعا: منهج الجماعة عدم الخروج على «ولي الأمر» و«السلطة»، وعندما عارض الأستاذ فتح الله كولن انطلاق أسطول الحرية لكسر حصار غزة، قال: «كان عليهم أن ينسِّقوا أولا مع السلطة»، في إشارة إلى الحكومة الإسرائيلية.

واعتبر كولن قرارات مجلس الأمن القومي في ٢٨ فبراير/ شباط ١٩٩٧، اجتهادا للمجلس «إن أصاب فيه فله أجران وإن أخطأ فله أجر»، فلماذا الآن اختار منهج الخروج على الحكومة؟

خامسا: مبادرة الحل النهائي للمشكلة الكردية بالغة الأهمية لحاضر تركيا ومستقبلها، وربما الجماعة تشعر بأنها أصبحت خارج المعادلة أو تفضِّل الحلول العسكرية والأمنية على الحلول السياسية والتفاوضية، ولكن ليس من الوطنية استهداف المبادرة وخطواتها، بالرغم من تصريحات كولن المؤيدة للمصالحة.

سادسا: الأحزاب السياسية أكثر شفافية وديمقراطية من الجماعات الدينية التي تقدِّس زعماءها وتطيعهم طاعة عمياء، وليس من العدل والإنصاف اتهام رئيس حكومة منتخبة بـ«الدكتاتورية» و«السلطوية».

وكتَّاب الجماعة يتهمون الحكومة بالضغط على وسائل الإعلام، ولكننا نجد حتى في وسائل الإعلام المقربة من الحكومة من ينتقد سياساتها، بخلاف وسائل الإعلام التابعة للجماعة التي لا يمكن أن تنشر أي خبر أو مقال ينتقد أنشطة الجماعة أو زعيمها.

سابعا: اتهام الحكومة بمحاباة إيران لا أساس له، والتباين في موقفي البلدين من الثورة السورية خير دليل على ذلك، ولكن في المقابل هناك علامات استفهام كثيرة حول علاقة الجماعة مع الولايات المتحدة، فلماذا يقيم زعيم الجماعة فتح الله كولن في ولاية بنسلفانيا الأميركية ولا يعود إلى أرض الوطن؟

تداعيات الصراع

وسط انتقادات واتهامات متبادلة، يجب أن لا ننسى أن لب المشكلة هو الخلل في العلاقات بين الجماعات والحكومات، وحاجة الأحزاب السياسية إلى تأييد الجماعات، وغير ذلك من العناوين المتعلقة بدور الجماعات في الحياة السياسية وحدوده، لأن الاختلافات الأخرى غالبا ما تدور حوله.

وبدون مناقشة هذا الموضوع والاتفاق على أرضية مشتركة يلتزم الجميع بحدوده، فلن تنتهي الصراعات بين الجماعات والحكومات.

ومن المتوقع أن تلقي المعركة الإعلامية التي تدور حاليا في تركيا بين جماعة كولن وحكومة أردوغان بظلالها على الانتخابات المحلية، التي ستجري في نهاية مارس/آذار القادم.

وتُقدَّر الأصوات التي تتحكم فيها الجماعة ما بين اثنين وخمسة بالمائة، ولكنه ليس من المؤكد أن يلتزم جميع أعضائها بقرار عدم تأييد حزب العدالة والتنمية.

جماعة كولن حرصت دائما على الابتعاد عن «الإسلام السياسي»، ولذلك كانت متحالفة قبل أردوغان مع تورغوت أوزال وبولنت أجاويد، وأكبر مشكلة أمامها الآن عدم وجود منافس يمكن أن تتحالف معه.

ولذا فقد تتجه إلى تأييد حزب الشعب الجمهوري أو الأحزاب الأخرى في الدوائر الانتخابية المختلفة حسب أسماء المرشحين، بدلا من تأييد حزب واحد في جميع أنحاء تركيا.

الجماعة التي تمتلك وسائل إعلام عديدة من القنوات والصحف والمجلات بالإضافة إلى وكالة الأنباء، قد تنال من شعبية أردوغان وحزبه بحملات إعلامية مكثفة، إلا أن الجماعة نفسها هي أيضا لن تنجو من التداعيات

السلبية لهذا التصعيد، لأن جماعة كولن التي طالما رفعت شعار «التسامح»، لأول مرة تخوض معركة بهذه الشراسة وهذه اللهجة، ضد حكومة منتخبة حازت على ما يقارب ٥٠٪ من أصوات الناخبين.

كيف سيؤثّر الخلاف بين أردوغان وغولن في المشهد السياسي التركي؟

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية – ٢٠١٣/١٢/٣٠

تتكوّن وحدة تحليل السّياسات في المركز العربي للأبحاث ودراسة السّياسات من مجموعة من الباحثين الذين يعملون بشكلٍ جماعيّ، ويلتقون دوريًّا، لتدارس المواضيع السياسيّة والإستراتيجيّة الرّاهنة ذات الأهميّة العالية، ومناقشتها، ورصدها، ومتابعة تطوّراتها، وتوقّع تأثيراتها المحتملة. تعمل الوحدة تحت إشراف الدكتور عزمي بشارة، وبتوجيهه، ويقوم باحث بتنسيق الاجتماعات والمواضيع والموادّ المقترحة للنّقاش. يكلّف باحث أو أكثر بصياغة ورقة، ويقدمها لتخضع للمناقشة في جلسة، ثمّ يعاد تحريرها في ضوء الملاحظات التي يبديها أعضاء فريق الوحدة. وتخضع قبل نشرها على الموقع الإلكتروني كورقة «تقدير موقف» أو ورقة «تحليل سياسات» لمراجعةٍ أخيرة.

أجرى رئيس الحكومة التركية رجب طيب أردوغان تعديلًا وزاريًّا طال عددًا كبيرًا من وزراء حكومته، بعد أن وردت أسماء أربعة منهم في التحقيقات في قضايا فساد، منها ما هو مرتبط ببنك «خلق» الذي يجرى من خلاله تسديد قيمة مشتريات تركيا من النفط والغاز الإيراني، والذي تنتقده الإدارة الأميركية منذ فترة وتعدُّه حالةً من كسْر الحصار على إيران. ويتهم أردوغان رجلَ الدين فتح الله غولن، المقيم في الولايات المتحدة والمعروف بعلاقاته المتشعبة هناك، رئيس حركة «خدمة» التي يناهز عدد أتباعها المليون، بينهم مسؤولون كبار في الشرطة والقضاء، بتدبير هذه «المؤامرة» لإسقاط حكومته، بالتنسيق مع قوى أجنبية غير راضية عن السياسات الخارجية التركية من مختلف القضايا الإقليمية والدولية.

وكانت جماعة غولن تُعَدُّ حتى وقت قريب حليفًا وثيقًا لحكومة حزب العدالة والتنمية التي يقودها أردوغان، وكانت قد صوَّتت لها في جميع الانتخابات التي جرت منذ عام ٢٠٠٢. فما الذي أدَّى إلى تحوّل الجماعة ضدّ الحكومة وأدخل تركيا في واحدة من أخطر أزماتها السياسية منذ الانقلاب الذي أطاح حكومة نجم الدين أربكان عام ١٩٩٧؟ وكيف ستؤثر هذه المواجهة في المشهد السياسي التركي مع اقتراب موعد الانتخابات البلدية المقرَّر في ٣٠ آذار / مارس المقبل، وخصوصًا أنّ جماعة غولن تملك وسائلَ إعلام نافذةً ولديها أتباع ومؤيّدون في أوساط الأعمال والوظائف العامَّة.

من التحالف إلى العداء

نتيجة تشدد النظام العلماني التركي في التعامل مع الأحزاب والتيارات ذات التوجهات الإسلامية، بخاصة خلال العقود الأولى من نشأة الجمهورية، عملت معظم التيارات الدينية تحت قانون الجمعيات الخيرية، أو الحركات الصوفية التي سُمح لها بالنشاط في عهد حكومة عدنان مندريس التي فازت بانتخابات عام ١٩٥٠، لتنهيَ سيطرة حزب الشعب الجمهوري العلماني المتطرف الذي أنشأه أتاتورك وانفرد بالسلطة منذ تأسيس الجمهورية عام ١٩٢٣. بيد أنّ نشاط الجمعيات الخيرية والدينية لم يعدْ يقتصر، بمرور الوقت، على النشاطات الخدمية والتربوية. بل امتدَّ إلى المجال السياسي عبر إنشاء تحالفات مع الأحزاب والقوى السياسية، وخصوصًا في مواسم الانتخابات؛ إذ تحثّ هذه الجمعيات أعضاءها والمتعاطفين معها على التصويت لأحزاب معينة، مقابل حصولها على تسهيلات وخدمات مختلفة في حال وصول هذه الأحزاب إلى الحكم.

وكان من أبرز هذه التحالفات ما قام بين حزب العدالة والتنمية وحركة «خدمة». فعندما قام أردوغان ورفاقه بتأسيس العدالة والتنمية، بعد إطاحة حُكم أستاذهم أربكان، وفق برنامج سياسي يحترم الدستور

العلماني ويتجنَّب الصدام مع المؤسّسة العسكرية، كان فتح الله غولن وتلامذته من المباركِين لهذه الخطوة، وخصوصًا أنّ استطلاعات الرأي حينها كانت تشير إلى أنّ حزب العدالة والتنمية سوف يفوز في الانتخابات في ظلّ وضْع سياسي واقتصادي معقَّد، ثبت خلاله فشل الأحزاب العلمانية وانكشف فسادها.

ويمكن القول إنّ جماعة غولن عاشت عصرها الذهبي في ظلِّ حكومة أردوغان التي فتحت لها آفاق العمل والنشاط في جميع قطاعات الدولة، بما فيها تلك التي لم يكن ممكنًا لها العمل فيها من قبل، ولا سيما وزارات التربية والتعليم، والداخلية ومديريات الأمن والاستخبارات، ووزاراتي الخارجية والعدل. كما ذهب أردوغان إلى حدّ الترويج للجماعة في الخارج، عندما توسّط بينها وبين مختلف الزعماء والرؤساء؛ للحصول على أراضٍ في بلدانهم تقيم الجماعة عليها مدرسةً، أو رخصٍ تقيم بموجبها مشروعًا. وفي المقابل دعمت الحركة الحزب في جميع الانتخابات التي فاز بها منذ وصوله إلى السلطة.

وقد ساعد النجاح الداخلي والخارجي الذي حقَّقه حزب العدالة والتنمية بين عامي ٢٠٠٢ و٢٠١٠ في استمرار هذا التحالف. بيد أنّ التحديات التي بدأت تواجهها تركيا، سواء على صعيد علاقاتها الخارجية نتيجة التحولات الكبيرة التي حصلت في محيطها الإقليمي ودفعتها إلى الاصطدام بالعديد من دول الجوار الفاعلة، أو على صعيد مشاكلها الداخلية المرتبطة ببعض القضايا؛ مثل المسألة الكردية، جعلت بعض المتحالفين مع حزب العدالة والتنمية يختلفون معه، وكان من بين هؤلاء حركة فتح الله غولن.

خلافات على المستوى الخارجي والداخلي

بدأت الخلافات بين جماعة غولن وحزب العدالة والتنمية نتيجة اختلافات في تحديد المصالح الخارجية التركية وقراءتها أساسًا. فمنذ حادثة سفينة «مافي مرمرة»، في أيار / مايو ٢٠١٠، بدأ فتح الله غولن يوجِّه انتقادًا لاذعًا إلى الحكومة التركية، مدَّعيًا أنها سمحت للسفينة بالإبحار من دون أخْذ إذنٍ من الحكومة الإسرائيلية. وفي مفارقة أثارت استغراب الكثيرين، حمَّل غولن رئيسَ الحكومة أردوغان مسؤولية الهجوم الإسرائيلي على السفينة التركية الذي أدَّى إلى مقتل تسعة أتراك. وقد مثَّلت هذه التصريحات حينئذٍ صدمةً داخل تركيا وخارجها. ولم يكن الخلاف المتعلق بقضية سفينة مرمرة، التي لم تبادر حكومة أردوغان أصلا الى إرسالها إلا مؤشِّرًا على رفْض غولن سياسات أردوغان المنحازة إلى العرب في نقدها للسياسة الإسرائيلية؛ إذ يمثّل غولن في هذا الموضوع تحديدًا وجهة نظر مختلفة كليًّا، فهو لا يُبدي حرصًا شديدًا على بناء علاقات ممتازة بالولايات المتحدة فحسب، بل إنه حريص على ذلك مع إسرائيل أيضًا. وهكذا ظهر غولن معارضًا لسياسات حزب العدالة والتنمية في الخارج، قبل أن يظهر معارضًا لها في الداخل.

لقد ظهر الخلاف المتعلِّق بقضايا داخلية بين غولن وأردوغان، أوَّل ما ظهر، عندما أسّست حكومة العدالة والتنمية المحاكم الخاصة للنظر في قضيَّة الأرغينيكون، وهي قضية اتهمت فيها الحكومة عشرات الضباط من المؤسّسة العسكرية بالتدبير لانقلاب عليها عام ٢٠٠٧[1]. لكنّ أمد المحاكمات طال من دون حسمٍ، كما أخذت الاتهامات تمسُّ قياداتٍ عسكريةً عملت حتى وقت قريب بجانب أردوغان الذي جعل يُبدي استياءً واضحًا من بُطْء سير المحاكمات، ومن اقترابها من قيادات عسكرية تعدُّ قريبة إليه؛ ما أشعر أردوغان بأنّ جهازي الشرطة والقضاء اللذين أمسيا في

(١) أرغينيكون هو اسم واد أسطوري في آسيا الوسطى تعود أصول الأتراك العرقية إليه، وهي منظمة سرِّية، تأسست عام ١٩٩٩، تقول إنّ هدفها المحافظة على العلمانية في تركيا، وتُتهم بالقيام باغتيالات وتفجيرات في عدد من المدن التركية، ومحاولة الانقلاب على الحكومة. استُهلت القضية عام ٢٠٠٧ مع اكتشاف مخبأ للأسلحة في إسطنبول، جرى على إثره اعتقال عشرات المتهمين بينهم جنرالات وصحافيون وزعماء عصابات إجرامية يحاكمون منذ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٨. وقد باتت القضية رمزًا للصراع بين الحكومة الإسلامية المحافظة وبين المؤسسات العلمانية في البلاد. وضمن أخطر القضايا التي يتآمر فيها الجنرالات الأتراك في تاريخ الجمهورية التركية وأكبرها، قضت محكمة إسطنبول بقبول النظر في قضية باليوز؛ وهي اسم المخطط الذي وضعه الجنرالات الأتراك للانقلاب على الحكومة، ومن بين المتهمين قائد الأركان السَّابق الجنرال إيلكر باشبوغ الذي قاد الجيش التركي بين عام ٢٠٠٨ وعام ٢٠١٠. وبلغ عدد المتهمين في هذه القضية ثلاثمئة متَّهم.

قبضة جماعة غولن باتا يشكّلان تحديًا كبيرًا له.

أمّا الخلاف الداخلي الثاني فقد ظهر عندما جرى الكشف عن تسجيلات صوتية لمفاوضات سرّية في أوسلو مع حزب العمال الكردستاني، تحت إشراف رئيس جهاز الاستخبارات، في إطار مسعى الحكومة لحلّ القضية الكردية. غير أنّ جماعة غولن التي لها امتداد ونفوذ في المناطق الكردية كان لها رأي في الحلّ يختلف في التفاصيل مع رأي أردوغان؛ ما جعل المدّعي العامّ «صدر الدين صاريقايا»، المحسوب على جماعة غولن يقوم في فبراير / شباط ٢٠١٢ باستدعاء رئيس جهاز الاستخبارات «هاكان فيدان» للمساءلة القانونية، إذ وجه إليه تهمًا بالتفاوض مع أعداء الوطن وتجاوز صلاحياته، فترتّب على ذلك تدخُّل من رئيس الوزراء أردوغان الذي عدَّ المسألة خارجةً عن نطاق الخلاف السياسي إلى الاستهداف الشخصي له، عبْر استدعاء صديقه فيدان للتحقيق.

وقد ذهبت الشكوك إلى أنّ جماعة غولن هي التي قامت بتسريب التسجيلات الصوتية لرئيس جهاز الاستخبارات في أوسلو. وأشارت بعض الصحف إلى أنّ عناصر من جماعة غولن في جهاز الشرطة هي التي كانت وراء التقاعس الأمني الذي أدّى إلى تفجيرات الريحانية في شهر أيار / مايو ٢٠١٣؛ ما أوقع الحكومة في حرجٍ داخلي وخارجي كبير[١].

وبلغ الخلاف بين الحكومة والجماعة أوجَه عندما أيَّد غولن - ضمنيًّا - الاحتجاجات التي جرت في ساحة تقسيم، في حزيران / يونيو ٢٠١٣، على خلفية قضية حديقة غازي[٢]. وقامت، من جهة، وسائل إعلام تابعة للجماعة بتوجيه انتقاد حادٍّ لأردوغان، ولطريقة تعامل حكومته مع الأحداث. وتولّت، من جهة أخرى، صحيفة توداي زمان الناطقة بالإنكليزية مهمّة «تشويه» صورة حزب العدالة والتنمية على المستوى الدولي.

أمّا القضية التي فجَّرت الخلاف على نحوٍ علني ومفتوح، فكانت قيام عناصر في الشرطة تدين بالولاء لغولن بحملة اعتقالات طالت أبناء وزراء في حكومة أردوغان بتُهم فسادٍ - من دون عِلم السلطات العليا - بمن فيهم وزير الداخلية؛ وذلك بهدف إحراج الحكومة عبْر رميها بتُهم الفساد المالي والأخلاقي، قبل ثلاثة أشهر من الانتخابات البلدية؛ ما اضطر رئيس الحكومة أردوغان إلى أن يطلب من ثلاثة وزراء - وهم وزراء الداخلية والاقتصاد والبيئة - تقديم استقالاتهم، بعد سجن أبنائهم على ذمة قضايا فساد، حتى يتسنَّى للقضاء التركي التحقيق في التُّهم من دون التأثر بمناصب آبائهم، أو مكانتهم السياسية في الحكومة.

وفي مقابل كلّ خطوة عدائية كانت تقوم بها جماعة غولن، كانت الحكومة تردُّ بإجراء عقابي، فتمَّ إغلاق المدارس التحضيرية الخاصة التي كانت جماعة غولن تملك ٢٥٪ منها في البلاد، ردًّا على موقف الجماعة من أحداث ساحة تقسيم. وتذهب بعض القراءات إلى أنّ الحملة الأخيرة من الشرطة ضدّ الفساد لم تكن إلا ردًّا من حركة غولن على قيام الحكومة بإغلاق مدارسها. لكنّ الحكومة قامت بالردّ على الردّ عبْر طرْد العشرات من ضباط الشرطة والموظفين العموميين المحسوبين على الجماعة، من بينهم رئيس شرطة إسطنبول[٣].

معارضة من داخل التيار الإسلامي

هذه المواقف المتعارضة بين حزب العدالة والتنمية وحركة فتح الله غولن جعلت المعارضة الرئيسة للحكومة التركية تأتي من داخل شبكة مصالح تجمع بين الصوفية والبراغماتية السياسية، وقد عُدَّت بحق، أو بغير حقّ، محسوبةً على التيار الإسلامي، لا على المعارضة العلمانية، ليبراليةً كانت أو قوميةً. وهذا تطور في ساحة الإسلام السياسي التركي لافت للنظر. بل إنّ غولن أخذ

---

(١) حول تفجيرات الريحانية وموقف الحكومة التركية انظر: «أردوغان: منفذي تفجيرات الريحانية ساعدوا وفد المعارضة التركية في لقاء الأسد»، الحياة، ٢٤ أيار / مايو ٢٠١٣، على الرابط:
http://alhayat.com/Details/٥١٦٩٥٠

(٢) بشأن هذا الموضوع، انظر «ميدان تقسيم... اقتلاع شجرة يولد احتجاجات»، الجزيرة نت، ٣ حزيران / يونيو ٢٠١٣،
http://www.aljazeera.net/news/pages/c٨c٢٣٣f٨□٦٩٩١□٤٨f٤□٨٨١c-ff٨ef٣٤٢d١fe

(٣) انظر: «حملة تطهير جديدة في صفوف الشرطة التركية بسبب فضيحة فساد»، الحياة، ٢٣ كانون الأول / ديسمبر ٢٠١٣، على الرابط: http://alhayat.com/Details/٥٨٥١٠١

يَنشُد تحالفاتٍ مع الأحزاب العلمانية المعارضة لحكومة العدالة والتنمية، وكأنه يسير على النهج نفسه الذي تعامل به مع نجم الدين أربكان عندما ترأس الحكومة خلال العام الممتدّ بين ١٩٩٦ و١٩٩٧؛ إذ جعل من نفسه خصمًا عنيدا لأربكان ولحركته ملّي غروش «رأي الأمة»، من داخل تيار الإسلام السياسي التركي. وهذا يعني أنّ غولن أخذ يتبنّى برنامجًا واضحًا لمعارضة حكومة العدالة والتنمية، وأنّ الأمر ليس اختلافًا مع مواقفها من القضايا الداخلية والخارجية فحسب. وقد يشير قيامه بمغازلة المؤسّسة العسكرية وادعاء استعداده للتخلّي عن كلّ ممتلكات الجماعة للعسكر التركي، إلى أنّ كولن ربما يسعى لإسقاط حكومة العدالة والتنمية، لكن من دون أن يقدم نفسه بديلًا منها.

هذا التحول الكبير في موقف فتح الله غولن من حلفاء الأمس يثير تساؤلاتٍ عديدةً متعلقةً بالأسباب التي دعت إليه، فهل يشي ذلك بأنّ الجماعة أصبحت من القوة والتأثير والنفوذ ما يجعلها في غنًى عن الاستمرار في التحالف مع حكومة العدالة والتنمية التي فتحت لها كلّ الأبواب؟ أم هل أنّ غولن يشعر بأنّ نجم أردوغان بدأ بالأفول وأنّ حظوظه في الاستمرار في الحكم بدأت تقلُّ نتيجة الصعوبات التي أخذ يواجهها في السنتين الأخيرتين سواء داخليًّا أو خارجيًّا، ولذلك بدأ يعمل منذ الآن على بناء جسور مع من سيخلف حكم العدالة والتنمية، بخاصة أنّ غولن معروف بحسن قراءته للمتغيرات الدولية وقدرته على استثمار المعادلات السياسية الداخلية، وأنه يريد أن يكرر تجربته مع حزب العدالة والتنمية، ولكن مع أحزاب أخرى؟

لا شكّ في أنّ الانتخابات البلدية المقبلة سوف تكون الامتحان الأبرز لحزب العدالة والتنمية، كما أنها ستعطي مؤشراتٍ متعلقةً بهذه الأزمة إن كانت أثّرت فعلًا في شعبيته بين الناخبين الأتراك. ويبدو حتى الآن أنّ الحزب مطمئن إلى غياب معارضة سياسية حزبية قوية له، فجميع الأحزاب العلمانية ثبت فشلها، وعدم قدرتها حتى على استثمار متاعبه كما حصل في أحداث تقسيم وغيرها.

إضافةً إلى ذلك يبدو أنّ حزب العدالة والتنمية مطمئن إلى أنّ الأتراك، خلال الانتخابات البلدية المقبلة، لن يصوّتوا لأجندة سياسية، بل لمصلحة أجندة خدمية. وفي هذا المجال يدرك الحزب الحاكم أنّ الآخرين غير قادرين على منافسته؛ فمنذ وصوله إلى السلطة عام ٢٠٠٢ لم يستطع حزب سياسي تركي منافسة العدالة والتنمية في المحليات، ولا حتى في الانتخابات البرلمانية. وعلى الرّغم من ذلك فإنّ حركةً اجتماعيةً وجمعيةَ خدمةٍ خيرية ذات علاقات متشعبة بما فيها الولايات المتحدة، مثل جماعة غولن، قد تُلحق بالحزب الحاكم ضررًا أكبر ممّا تستطيع أن تلحقه به أحزاب المعارضة العلمانية مجتمعةً. فهذه المعارضة لن تستطيع أبدًا أن تُقدِّم نفسها بديلًا من حزب العدالة والتنمية الذي خاض الانتخابات بكلّ أنواعها، والذي يعرف كيف يديرها ببرنامج له وزنه في الشارع التركي.

خارطة القوى التي تدفع بجماعة «كولن» للتصادم مع أردوغان بتركيا

هيثم الكحيلي – موقع الإسلاميون ٢٠١٣/١٢/٢٣

تحالف دولي يحركه المحافظون الجدد في أمريكا وتموله مجموعة كوتش ويستفيد منه حزب الشعب الجمهوري وتتقدم الجماعة لتنفيذه

أكثر التساؤلات المطروحة عربيا حول ما يحدث في تركيا في الأيام الأخيرة، وحول ما يسمى بصراع أردوغان كولن، تدور حول مآلات هذا الصراع وإلى من سترجح الكفة، وإن كان التوقع في السياسة مستحيلا، فإن التأمل في خطاب أردوغان الذي قال فيه «سنكسر الأيادي التي تحاول المساس باستقلاليتنا» وختمه بالقول: «انتظروا منا الكثير»، ومقارنته بالدعاء الهستيري الذي أطلقه فتح الله كولن، كاف لتقدير مدى سلامة مواضع الأقدام لدى الطرفين.

وتطرح كذلك تساؤلات كثيرة حول الأسباب التي تدفع الجماعة «الإسلامية» إلى التصادم مع حكومة أردوغان، وهو ما يمكن التخمين فيه بأن الجماعة لم تختر المواجهة مع أردوغان، وإنما من اختار

المواجهة، ودفع بالجماعة لتكون واجهة، هي قوى داخلية وخارجية لا تقبل بالدور الإقليمي الذي تقوم به تركيا، ولا تريد السماح لتركيا بالمضي في طريقها الحالي، وهو ما أشار إليه أردوغان في خطاباته الأخيرة.

وعبر تاريخها، ومنذ الستينات، كانت الجماعة منحازة دائما للمنقلبين، وبينما يدعو فتح الله كولن اليوم أنصاره لبذل كل السبل لمنع الحكومة من إغلاق مراكز التدريس الخاصة بالجماعة، فإنه قد عرض على انقلابيين سابقا أن يسلم المراكز طواعية للدولة، ووضع يده في يدي من منعوا الحجاب وحاربوا الإسلام، وكما رضخت الجماعة للانقلابيين في السابق فإنها ترضخ اليوم وتتقدم لتقود حربا لا مصلحة لها فيها.

مجموعة كوتش:

عبر العقود التي سبقت وصول أردوغان إلى الحكم، تحكمت في دنيا الإعلام والسياسة والمال بشكل كبير ٣ أسماء، خسر أولها المعركة في وجه حكومة أردوغان وهو مقيم الآن في فرنسا ومحكوم عليه غيابيا بالسجن لمدة ٢٣ سنة، وهو جيم أوزان، وأما الثاني، وهو إمبراطور الإعلام التركي، آيدين دوغان، فقد نجحت حكومة العدالة والتنمية في إضعافه عبر إجباره على تسديد ديونه للدولة ودفعه إلى بيع عدد من مؤسساته الإعلامية والتحقيق معه في تهم التورط في الدعوة إلى الانقلابات ودعمها.

وأما الاسم الثالث، فيتعلق بأثرى العائلات التركية، والتي تعمل في كل قطاعات الاقتصاد التركي، من التغذية وصولا إلى الصناعات العسكرية، وهي عائلة كوتش ورئيس المجموعة الحالي مصطفى كوتش، والذي بدأت المواجهة العلنية بينه وبين حكومة أردوغان عندما اتهمه مقربون من الحكومة بدعم أحداث ميدان تقسيم (جيزي بارك) في الصيف الماضي، عبر التمويل وعبر التحريض على ذلك في «جامعة كوتش» الخاصة المملوكة للمجموعة، والتي أرسل عميدها رسالة إلى كل الطلاب قال فيها بأنه سيتيح لكل الطلاب المتغيبين عن الامتحانات إعادة الامتحان في وقت لاحق، وقد علق أردوغان بنفسه على هذه الرسالة في تلك الأيام.

وقبل ثلاثة أشهر، أعلن عن اجتماع رباعي حضره رئيس الجمهورية الأسبق سليمان ديميرال، والذي شغل منصب رئيس الوزراء سبع مرات خلال عقود الانقلابات العسكرية في تركيا، وحضره أيضا رحمي كوتش، وهو والد مصطفى كوتش والرئيس السابق لمجموعة كوتش، وكذلك تايلان بيلغان عضو مجلس إدارة مجموعة دوغان المملوكة لآيدين دوغان، حيث أجمع المعلقون على هذا الاجتماع على أنه انتهى إلى اختيار الشخص الرابع وهو مصطفى ساري غول، ليكون رجل المرحلة القادمة، وممثل حزب الشعب الجمهوري لرئاسة بلدية اسطنبول أولا، ولرئاسة الوزراء ثانيا.

حزب الشعب الجمهوري:

كما كان متوقعا، وعملا بالعرف السياسي القائل بأن الطريق إلى قصر الحكومة في تركيا يبدأ من رئاسة بلدية اسطنبول، أعلن حزب الشعب الجمهوري يوم أمس أن مرشحه في الانتخابات البلدية القادمة، والتي ستعقد في ٣٠ آذار/مارس من سنة ٢٠١٤، سيكون السياسي الشهير مصطفى ساري غول.

واللافت للأنظار، هو أن ساري غول وبعد زيارة وفد عن حزب الشعب الجمهوري إلى أمريكا ولقائه بعدد من الشخصيات النافذة داخل جماعة فتح الله كولن، أبدى في خطاباته شيئا من التودد للجماعة، فبعد أن كانت الجماعات الإسلامية تمثل الخطر الأكبر على تركيا، منذ تأسيس الحزب ذو التوجهات العلمانية الراديكالية، أصبح ساري غول، وهو الرجل الثاني في الحزب، يدافع عن مواقف الجماعة وعن مراكز التدريس التابعة لها، ويصفها بأنها مهمة للحفاظ على المعتقدات الدينية.

وقبل ساعات من اختيار ساري غول مرشحا لحزب الشعب الجمهوري في الانتخابات البلدية القادمة، قالت الإعلامية التركية الشهيرة، سيفيلاي يوكساليز، أن ساري غول بنفسه أخبرها بأنه عقد اتفاقا مع جماعة كولن وبأن الجماعة تدعمه وستدعمه في الانتخابات القادمة، مضيفة: «إذا كنت كاذبة فليخرج ويكذبني، لماذا يخجل من قول الحقيقة؟»، مؤكدة كلامها: «ساري غول يمثل مشروعا، وتقف خلف هذا المشروع مجموعة

كوتش وجماعة كولن ولوبيات في الولايات المتحدة الأمريكية».

المحافظون الجدد في أمريكا:

خلال زيارته الأولى لأمريكا منذ توليه رئاسة حزب الشعب الجمهوري، وخلال افتتاحه لمقر الحزب في واشنطن، قبل أسابيع، قال كمال كيليتشار أوغلو: «سنأتي كثيرا لأمريكا في المرحلة القادمة»، وهي الكلمة التي دفعت أقلاما كثيرة للحديث عن مخطط أمريكي للإطاحة بحكومة رجب طيب أردوغان، وعن انزعاج أمريكي وغربي من حجم تركيا الإقليمي المتنامي وعن مخاوف دولية من أن تصبح اسطنبول مدينة عالمية تنافس عواصم أخرى مثل لندن ونيويورك من حيث الثقل السياسي والاقتصادي وتفوقهم بموقعها الجغرافي وإرثها الحضاري.

والمحافظون الجدد هم حَمَلَة مشروع القرن الأمريكي الجديد، وورثة الليبرالية الستراوسية أو المحافظين ذوي التوجه اليميني المتدين ولكن بنَفَس ليبرالي، ويسيطر هذا التحالف بشكل كبير على وسائل الإعلام الأمريكية والعالمية وعلى لوبيات اقتصادية ضخمة، ويحظى كذلك بنفوذ سياسي كبير داخل أمريكا وخارجها.

ويرى محللون، من بينهم الإعلامية سيفيلاي يوكسالير، أن تحالف المحافظين الجدد مع حزب الشعب الجمهوري وجماعة فتح الله كولن يهدف بالأساس وتحديدا إلى الإطاحة بشخص رجب طيب أردوغان وبرئيس جهاز الاستخبارات التركية، هاكان فيدان، والذين أبديا عنادا كبيرا في تعاملهم مع القوى الدولية، سواء من خلال مواقف أردوغان من القضايا الإقليمية، أو تحركات هاكان فيدان التي أخرج من خلالها جهاز الاستخبارات التركية من تحت عباءة الموساد الإسرائيلي.

وفي السنة الأخيرة أستخدم الإعلام الأمريكي وحلفاؤه بقوة لتنفيذ هذه الغاية، سواء من خلال التركيز على استخدام مصطلح «السلطان أردوغان» و«حلم أردوغان بإقامة الخلافة»، أو من خلال التغطية المكثفة لأحداث تقسيم في الصيف الماضي، بالإضافة إلى تقارير كانت تنشر بصفة روتينية، كان آخرها يتهم هاكان فيدان بتسليم إيران معلومات استخبارية عن عملاء للموساد الإسرائيلي مما أدى إلى اعتقالهم هناك.

ما خلف قضية الفساد المالي:

بالإضافة إلى المصلحة الانتخابية التي حققها حزب الشعبي الجمهوري، والمعنوية التي حققتها الجماعة، حققت أمريكا أهم أهدافها من خلال ضرب رجل الأعمال التركي الإيراني الأصل، رضا زراب، والذي كان وسيطا ما بين الحكومة التركية والإيرانية، فبسبب العقوبات المفروضة على إيران، ومنع تركيا من دفع ثمن النفط الإيراني عبر الطرق التقليدية، قامت الحكومة التركية طيلة السنوات الماضية بإيداع أثمان النفط المستورد من إيران في حسابات بنكية إيرانية في تركيا، لتقوم إيران في ما بعد بشراء الذهب من تركيا من عند رضا زراب وغيره من رجال الأعمال المقربين منها في تركيا عبر تلك الأموال.

وفي حديث له مع الصحافة مباشرة بعد إخلاء سبيله، نفى زراب التهم الموجهة له وقال: «أنا أقوم يوميا باستيراد وتصدير طن من الذهب، بصفة قانونية، ولا ضرائب تفرض على تجارة الذهب في تركيا، فلماذا أقدم رشوة؟»، ثم أضاف: «ذات مرة علقت شحنة ذهب قادمة من إفريقيا بسبب نقص في الأوراق القادمة من عند البائع الإفريقي، وعندما حاولت معالجة الأمر ابتزني مساعد مدير بجهاز الأمن وطلب مني رشوة بمليون دولار ونصف، وقد رفعت الشكوى وتسجيلات الصوت لوزير الداخلية».

وأضاف رضا زراب، «بعد فترة اتصل بي صحفي وقال لي بأن لديه ملف عن تهم بالفساد موجهة لي، فحولته إلى أحد المحامين العاملين معي، فإذا به يبتزني ويطلب مني مليون دولار مقابل عدم نشر تلك الملفات، وكل هذا مسجل عندي، وقد أخبرت قاضي التحقيق بأن بإمكاني إعطاؤه تسجيلات هذه المكالمات»، مع العلم بأن زراب قام في الأيام الأخيرة بنشر بعض هذه التسجيلات على موقع يوتيوب، وقال زراب: «لقد قدمت كل هذه المعلومات لوزير الداخلية منذ أشهر، وبدأت في تقديم شكوى ضد مساعد مدير الأمن وضد الصحفي الذي ابتزني، ولكن الغريب أنهم هم يحاكمونني اليوم !!».

ومن جهة أخرى حققت أمريكا أو المحافظون الجدد

في أمريكا مصلحة اقتصادية أخرى، من خلال ضرب مؤسسة «هالك بنك» والذي اتهم رئيسه بالفساد، حيث كان هذا البنك يمثل شريان الحياة بالنسبة للعلاقات الاقتصادية التركية الإيرانية، وفي حال نجاح هذه الضربة في ردع البنك عن تعامله مع الإيرانيين، فإن أمريكا ستنجح في تضييق الحصار على إيران وإبقاء كل مفاتيح رفع الحصار حصريا بين أيديها.

جريمة اغتيال شطح لا تنفصل عن سياق الأزمة السياسية والتهديدات المرفقة

معروف الداعوق – اللواء اللبنانية ٢٠١٣/١٢/٣١

لم تقع جريمة اغتيال الدكتور محمد شطح، مستشار الرئيس سعد الحريري خارج سياق الأزمة السياسية والأمنية التي تسبب بنشوئها «حزب الله» ونظام الأسد الدموي لحظة إسقاط حكومة الوحدة الوطنية السابقة بلا مبرر منطقي مقبول ومحاولة حشر لبنان في صف المحور البعثي الإيراني بالقوة في المواجهة مع دول الخليج العربي بزعامة المملكة العربية السعودية خلافاً لرغبة وتوجهات معظم أبناء الشعب اللبناني، وأذكى نار هذه الأزمة مشاركة الحزب الواسعة في الحرب الى جانب نظام الأسد ضد أبناء الشعب السوري الثائرين ضده والمطالبين بالحرية والمساواة والديمقراطية.

وعندما لاحت بوادر التفاهمات الإقليمية والدولية مع النظام الإيراني في خصوص الملف النووي الإيراني والأزمة السورية مع «الشيطان» الأميركي والدول العظمى، وبدأت مرحلة سقوط شعارات المواجهة والعداء الكاذبة وانكشاف كذب وخداع النظام الإيراني، أطلق الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله شخصياً صافرة تصوير ما حصل وكأنه بمثابة إنتصار لمحوره على خصومه الداخليين وحلفائهم العرب الخليجيين، في محاولة مكشوفة لإرغامهم على الخضوع لشروطه وإملاءاته الترهيبية لصياغة نظام سياسي جديد يضمن تسلط سلاحه وإمساكه بالواقع السياسي والسلطوي بمعزل عن أي مساس بهذا السلاح وتحت أي صيغة كانت.

وعندما لم ينصاع خصومه السياسيين بالداخل اللبناني لمواقفه التهديدية والترهيبية، تناوب رئيس كتلة الوفاء للمقاومة النائب محمد رعد على توجيه سيل جديد من التهديدات اكثر حدة وانزلاقاً لمستويات خطيرة اقل ما يقال فيها بأنها تعبر عن فقدان للصواب جراء استخفاف هؤلاء الخصوم بكل التهديدات السابقة، عندما تلفظ بعبارات غريبة كلياً عن لغة التخاطب والاختلاف السياسي في تاريخ لبنان، حتى في حمأة الحرب الاهلية التي شهدها لسنوات وسنوات في منتصف السبعينات وحتى اواخر الثمانينات في القرن الماضي عندما قال «سنقطع ايدي من يتطاول على المقاومة» ثم اردف قائلاً بوضوح انه لا يريد لبنان بنظامه الحالي، بل يريده حراً مستقلاً ولكنه لم يوضح للبنانيين كيف يكون البلد حراً وحزبه يتعامل مع إيران ويتزود منها بالسلاح والمال خلافاً للدستور ولرغبات معظم اللبنانيين وعلى حساب مصلحة الدولة كلها.

ولم يتوقف الامر عند هذا الحد، فما وصفه نصر الله بانتصار حزبه في سوريا، لم يتبلور عملياً على الارض، بل اظهرت الوقائع عكس ذلك تماماً مع توارد الاخبار عن تقهقر الحزب والنظام في المعارك الدائرة هناك وعدم قدرتهما على الانتصار على الثوار السوريين في مختلف مواقع القتال، بالتزامن مع تباطؤ المحادثات الجارية لانجاز اتفاق الملف النووي مع الدول العظمى بصيغته النهائية مع بروز خلافات واضحة بين مراكز نفوذ القوى التقليدية والحكام الجدد في إيران حول الاتفاق المذكور، في حين بدأت بوادر تفاهمات وتحالفات بين دول الخليج العربي ومصر مع دول كبرى تعيد خلط الاوراق وموازين القوى في المنطقة من جديد في مواجهة نتائج ومؤثرات الاتفاق الإيراني مع الغرب.

ازاء هذه الوقائع المتسارعة، لم يكن امام الامين العام لحزب الله الا تصعيد لهجة تهديداته اكثر من السابق ضد خصومه السياسيين، وتلفظ خلالها بعبارات عكست ما يخالج حزبه من نوايا وتوجهات اظهرت بوضوح انه لن يتوانى عن ترجمة هذه التهديدات الى وقائع

ملموسة لاخضاعهم وإرغامهم على الانصياع لشروطه في أي تركيبة سلطوية جديدة، ولم تكد تمضي أيام معدودة على هذه المواقف التهديدية التي جوبهت بالرفض كسابقاتها، وقعت جريمة اغتيال الدكتور شطح الارهابية، بنفس الأساليب والطرق التي استهدفت شخصيات وطنية وسياسية واعلامية من خط سياسي واحد يناهض الحزب وحليفه نظام الأسد طوال السنوات الماضية.

ولذلك، لا يمكن فصل هذه الجريمة الإرهابية عن مجرى الصراع السياسي الدائر في لبنان والمنطقة، مهما حاول البعض تجهيل الفاعل أو تحميل المسؤولية لأطراف آخرين خارج اللعبة.

فالجريمة الإرهابية الجديدة التي استهدفت الدكتور شطح، حصلت في مرحلة حسّاسة وخطيرة جداً، تشهد تحولات كبيرة وأتت موقعة بسيل التهديدات التي أطلقت سلفاً وفي مغزاها أكثر من رسالة، وهي حصلت فيما الاستعدادات جارية لبدء المحاكمات الدولية في جريمة اغتيال الرئيس الشهيد رفيق الحريري وهناك خمسة متهمين من «حزب الله» بارتكابها، وبالتزامن مع التحضيرات الجارية لتأليف الحكومة الجديدة التي تشهد مخاضاً صعباً ومعقداً بسبب الشروط التعجيزية والتهديدات التي يطلقها الحزب ضد رئيس الجمهورية والرئيس المكلف، بينما التجاذب على أشده لعقد مؤتمر جنيف ٢ لحل الأزمة السورية.

لا شك أن الجريمة الجديدة ستكون لها تداعيات سلبية على العملية السياسية وهي تبشر بمعاودة اللجوء إلى أساليب الاغتيال السياسي في هذا الوقت الضائع، ولكن هل تحقق هدفها باخضاع الخصوم وجلبهم إلى طاولة التنازلات بشروط «حزب الله» قبل حصول اتفاقات وتفاهمات المنطقة؟

يبدو أن الوقت قد فات لتحقيق مثل هذه المطالب التعجيزية وبالتالي فان هذه الجريمة قد تزيد من التعقيدات وتدخل لبنان في مرحلة أمنية مترجرجة وتداعيات سياسية خطيرة.

تهجير الفلسطينيين من دول الطوق هدف يهودي نفذه الشيعة

ياسر البعلبكي – موقع الحقيقة

(لجنة الدفاع عن عقيدة أهل السنة في فلسطين) ٢٠١٣/١٢/٢٨

إن هدف تهجير الفلسطينيين من دول الطوق وخاصة من لبنان والعراق وسوريا من أهم الأهداف التي يحرص الكيان اليهودي في فلسطين على إتمامها وتنفيذها لأسباب سوف نأتي على ذكرها بإذن الله . ولم نذكر الأردن في هذا السياق لأن معظم الفلسطينيين في الأردن قد تجنسوا بجنسية هذا البلد أي الأردن .

يأتي حرص قادة اليهود على تهجير الفلسطينيين من دول الطوق لأن معظم الفلسطينيين أو الكثير منهم هم من مناطق مايعرف بال٤٨ أي من سكان يافا وحيفا وعكا وصفد وغيرها من المناطق التي يُطلق عليها الآن (دولة اليهود).

وسبب قلق قادة اليهود من فلسطيني دول الطوق أنه في أي تسوية مزعومة يجب أن يكون هنالك حلا لأصحاب الأرض الأصليين والتي تقام عليها دولة اليهود الآن فيكون الثمن باهضا ومكلفا على قادة الكيان خاصة اذا طالب فلسطيني ٤٨ الرجوع إلى ممتلكاتهم . ثم إنهم يشكلون عنصرا بشريا مهددا للدولة اليهودية خاصة أنهم قابعون على حدودها وعددهم لايستهان به كما أنهم كانوا وقود مقاومة المحتل على مدى سنوات الصراع معه ...

كما ذكرنا أن وجود الفلسطينيين على مقربة من دولة اليهود كان يشكل هما وهاجسا عند اليهود يجب التخلص منه وتفكيك نسيجه ..

فأوكلت تلك المهمة إلى صنيعة اليهود الفرق الباطنية الرافضية فكان أول من قام بهذه المهمة وبدأ بسحق هذا المكون الفلسطيني في دول

الطوق هو النصيري الباطني حافظ الأسد خدمه للمشروع اليهودي .

وكانت الخطة المتبعة هي ضرب المخيمات والتجمعات الفلسطينية وحصار أهلها ومن ثم لن يكون أمام الفلسطيني غير هجرة جديدة من مكامن الخطر الذي يحدق فيه ليهيم على وجهه في الأرض، حيث تتلقفه ما تسمى المنظمات الإنسانية وفي حقيقتها هي منظمات تعمل لصالح الكيان اليهودي لتقذفه بعيدا عن أهله وأرضه وتدمجه بعد ذلك في مجتمع غربي منحل لا مكان فيه للقيم والأخلاق ليذوب الفلسطيني به شيئا فشيئا .

قال وزير الاقتصاد الإسرائيلي دان ميردور: (إن هدف إسرائيل الدائم هو إزالة المخيمات الفلسطينية نهائياً من الوجود، فنحن نريد أن يغادر جميع اللاجئين لبنان وتذويبهم في المجتمعات العربية التي سيذهبون إليها) [1]

ففي لبنان :

وفقاً لإحصاءات الأونروا في عام ١٩٥٠، استقبل لبنان ١٢٧,٦٠٠ لاجئ من أصل أكثر من ٨٠٠ ألف فلسطيني هُجّروا من ديارهم في فلسطين .

مذابح مخيمات تل الزعتر وجسر الباشا وغيرها:

زحفت حشود الباطنية النصيرية بقيادة الباطني حافظ الأسد من سوريا متجهة إلى لبنان لضرب وتدمير المخيمات الفلسطينية هنالك فسحقت مخيم تل الزعتر وجسر الباشا والكرنتينا بالأضافة إلى مخيمات البداوي ونهر البارد ..

وكانت أعنف الهجمات على مخيم تل الزعتر بعد سقوط مخيمي الكرنتينا وجسر الباشا حيث تقدر عدد القذائف التي سقطت عليه بـ٥٥٠٠٠ قذيفة وارتكبت فيه أبشع الجرائم من هتك للأعراض وبقر بطون الحوامل وذبح للأطفال والشيوخ والنساء وكان ذلك على يد القوات النصيرية المتحالفة مع القوات المارونية .

إضافة إلى اعتقال الآلاف على يد النظام النصيري السوري .

أعلن إسحاق رابين رئيس وزراء العدو الصهيوني السابق في تصريح نقلته أجهزة إعلامهم: (إن إسرائيل لا تجد سبباً يدعوها لمنع الجيش السوري من التوغل في لبنان، فهذا الجيش يهاجم الفلسطينيين وتدخلنا عندئذٍ سيكون بمثابة تقديم المساعدة للفلسطينيين ويجب علينا ألا نزعج القوات السورية أثناء قتلها للفلسطينيين فهي تقوم بمهمة لا تخفى نتائجها الحسنة!! بالنسبة لنا) [2].

حصار مخيمي صبرا وشاتيلا على يد حركة أمل :

حاصرت حركة امل عام ١٩٨٥م مخيمات صبرا وشاتيلا حتى أكل اهلها العشب والقطط والكلاب .

بعد ذلك اقتحمت تلك المليشيات مخيمي صبرا وشاتيلا واعتقلوا معظم العاملين في مستشفى غزة وقصف المخيمات بمدافع الهاون وساند اللواء السادس في الجيش اللبناني المهاجمين بعد تلقيه أوامر من الباطني نبيه بري.

وذكرت وكالة (اسو شيتدبرس) : «عن اثنين من الشهود أن مليشيات أمل جمع العشرات من الجرحى والمدنيين خلال ثمانية أيام من القتال في المخيمات الثلاثة وقتلتهم.. وكان من بينهم نحو ٤٥ من الجرحى في مستشفى غزة.. وذكرت صحيفة (ريبوبليكا) الإيطالية أن فلسطينيًا من المعاقين لم يكن يستطيع السير منذ سنوات رفع يديه مستغيثًا في شتيلا أمام عناصر حركة أمل طالبًا الرحمة.. وكان الرد عليه قتله بالرصاص.. وقالت الصحيفة في تعليقها على الحادث: إنها الفظاعة بعينها».هـ [3]

وهنالك كلام جيد نشر في مجلة العودة عن

---

(١) السفير اللبنانية، ٣ أغسطس ١٩٨٢م عن امل والمخيمات الفلسطينية

(٢) وجاء دور المجوس ص ٤١٨

(٣) عن منتديات شبكة الاسهم القطرية

أسباب هجرة الفلسطينيين في لبنان إلى الدول الأوربية يؤيد ما ذهبنا إليه.. جاء في المجلة :

وقد بلغ عدد اللاجئين المهجرين حتى نهاية عام ١٩٨٧ وضمن إحصاء أجرته وكالة الأونروا مع «تجمع المؤسسات الأهلية العاملة في الوسط الفلسطيني في لبنان» نحو سبعة آلاف عائلة (٤٢٠٠٠ مهجّر تقريباً)، معظمهم في دول الدنمارك والسويد والنرويج وألمانيا وبريطانيا وهولندا وكندا. وتشير تقديرات اللجان الشعبية للمخيمات والتجمعات وعدد من المؤسسات الأهلية في لبنان إلى وجود أكثر من ٨٠٠٠ عائلة مهجرة، أي حوالى خمسين ألف مهجر فلسطيني. هذا بالإضافة إلى وجود أكثر من خمسة آلاف شاب فلسطيني، معظمهم غادر خلال فترة حرب المخيمات، بين عامين ١٩٨٤ و١٩٩١، منتشرين في دول أوروبا. ولن يكون هذا العدد غريباً إذا علمنا أن مخيم برج البراجنة وحده قد هاجر منه حوالى ألف عائلة، بالإضافة إلى وجود أكثر من ١٥٠ شاباً في المهجر وفقاً للجنة الشعبية للمخيم.

لا توجد معطيات كاملة بشأن الهجرة الكبيرة التي عرفها اللاجئون إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢، والخوف من تكرار مجازر صبرا وشاتيلا التي نعيش هذه الأيام ذكراها السابعة والعشرين، حيث كانت تُبث الشائعات بانتظام في بقية المخيمات، الأمر الذي دفع العائلات، وخصوصاً الشباب، إلى مغادرة لبنان.

هناك موجات أخرى من الهجرة برزت بين مرحلة اندلاع حرب المخيمات التي بدأت مع حصار مخيم برج البراجنة من قبل حركة أمل في أيار (مايو) من عام ١٩٨٥، وما رافق ذلك من عمليات قتل واعتقال على الهوية، الأمر الذي دفع الكثير من الشباب وحتى أولياء الأمور لتسهيل هجرة أبنائهم مخافة القتل أو التنكيل أو الاعتقال، وقد بلغت الهجرة ذروتها بين عامي ١٩٨٧ و١٩٨٩ (خاصة بين الشباب) عندما توسعت حرب المخيمات لتشمل بقية مخيمات بيروت والجنوب والمدن والتجمعات عموماً، في واحدة من أسوأ صفحات التاريخ في حياة اللاجئين الفلسطينيين في لبنان[1].

فلسطينيو العراق :

عاش فلسطينيو العراق منذ مجيئهم الى العراق عام ١٩٤٨ م بصورة هادئة دون أن يتعرض لهم أحد على مدى توالي الحكومات العراقية المتعاقبة والتي كان يتقلدها رجل ينتمي إلى السنة . لكن بعد دخول الأمريكان الى هذا البلد عام ٢٠٠٣م ودخول جحافل الميليشيات الشيعية مع المحتل الأمريكي بدأت حملات تصفية واغتيالات للمكون الفلسطيني في العراق على يد جيش المهدي وفيلق بدر الشيعيين رافق ذلك هجومات على المجمع الفلسطيني الأكبر في منطقة البلديات في بغداد .وكانت تلك الهجومات إما بقذائف الهاون أو الهجوم على مسجد الحي والمسمى جامع القدس بواسطة الميليشيات ,حيث تعرض إلى قصف بقذائف الهاون في إحدى ليالي رمضان بتاريخ ١٩ \ ١٠ \ ٢٠٠٦ والمصلين خارجين من المسجد أسفر عن مقتل ثلاثة من الفلسطينيين وجرح ١٣ . كما كان الفلسطيني في العراق مستهدف اذا خرج إلى عمله أو وظيفته ليختطف ويقتل بعد تشويه جسده وتعذيبه, وتوجد عشرات الصور التي تتحدث عن أبشع عمليات القتل السادية على يد الميليشيات الشيعية للفلسطينيين في العراق نقلها موقع فلسطينيو العراق . حتى إن الفلسطيني لا يستطيع الذهاب إلى المستشفى لان جيش المهدي مسيطر على تلك المستشفيات . كما إن عمليات الأعتقال التعسفية للفلسطينيين التي كانت تفعلها ما تسمى القوات النظامية لا تقل إجراما عما فعلته الميليشيات حيث طورد واعتقل أئمة مسجد القدس في البلديات وهوجم المسجد من تلك القوات كما قامت تلك القوات بعمليات اعتقال منسقة ومنظمة للفلسطينيين ومن ثم اخراج قسم منهم على شاشات

---

(١) (مجلة العودة العدد الثاني والسبعون - السنة السادسة أيلول (سبتمبر) ٢٠١٣ م - ذو القعدة ١٤٣٤ هـ)

التلفاز مدعية بأنهم إرهابيين. لقد قتل من فلسطيني العراق قرابة ٤٥٠ شخص وهذا العدد يعتبر كبيرا اذا عرفنا أن عددهم يقارب الثلاثين الفا .

كل هذا جعل حياة الفلسطيني في العراق لا تطاق فهاجر معظمهم إلى سوريا ومن ثم جاءت المنظمات الصليبية لتتلقفهم وتنقلهم إلى شتات جديد لتذويبهم في بلاد الغرب. كما لا يفوتنا أن نذكر مافعله المجرم بشار بحق فلسطيني العراق فكان يعتقلهم في سوريا ويقذف بهم في الصحراء في وضع مزري لايفعله إلا أسياده اليهود .

فلسطينيو سوريا :

من قبل سيطرة الفرقة النصيرية على الحكم في سوريا وفي عام ١٩٥٦ صدر قانون رقم ٢٦٠ والذي ينص على معاملة السوري معاملة الفلسطيني أي في عهد (شكري القوتلي) وهذا قبل النصيري حافظ أسد والبعث ..

ولكن ماذا حصل بعد خروج الشعب السوري على النظام النصيري..؟؟ لقد بدأ النظام النصيري بحصار وقصف المخيمات الفلسطينية بأشد أنواع الأسلحة فتكا وتدميرا . مثل مخيم اليرموك ومخيم فلسطين ومخيم السبينة وبقية المخيمات في درعا واللاذقية وحلب وغيرها من المدن السورية لقد قصفت هذه المخيمات وحوصرت حتى سمعنا مؤخرا بوفاة خمسة أشخاص من الجوع في مخيم اليرموك, وحتى وصل الأمر بأهله إلى أكل القطط والكلاب كل هذا حصل من النظام انصيري الممانع والمقاوم, لكن هذا النظام لو كان عنده ذرة شعور بالمقاومة لتجنب ضرب المخيمات في سوريا وتهديمها على رؤوس ساكنيها . مؤخرا سمعنا بعدة قرارات هدفها التضييق على الفلسطيني في سوريا ومن ثم تهجيره حسب السيناريو السابق والقرار هو منع الفلسطيني في سوريا من استلام الحوالات المالية المرسلة من الخارج كذلك استثنت وزارة التربية التابعة للنظام النصيري الفلسطينيين من التعيين في الوظائف العامة وربما نسمع بعد فترة قرارات جديدة تصب في عملية التضييق على الفلسطيني لتهجيره من سوريا .

وكمثال ننقل بعض ماتعرض له الفلسطينيون في سوريا من انتهاكات ذكرها (موقع مجموعة العمل من اجل فلسطيني سوريا على الفيس بوك) وهذا ليوم الجمعة الموافق ٢٧ \ ١٢ \ ٢٠١٣

«خمس ضحايا في مخيم اليرموك يموتون جوعاً ، وإغلاق لمنافذ مخيم العائدين بحمص»

- ست ضحايا فلسطينيين سقطوا في سورية.
- قصف على مخيم درعا.
- ناشطوا مخيم خان الشيح يطالبون بتحييد المخيمات الفلسطينية.
- اشتباكات عنيفة على أطراف مخيم العائدين بحماة.

لقد بلغ عدد القتلى الفلسطينيين على يد الفرقة النصيرية في سوريا قرابة ال ١٨١٧ وبلغ عدد المعتقلين ٤١٦ لم يعرف مصيرهم أما عدد الذين تم قتلهم تحت التعذيب ١١٩..

وبدأنا نسمع عن هجرة جديدة للفلسطينيين في سوريا إلى بلدان شتى ومنها الدول الأوربية عن طريق التهريب وغيرها من الطرق وطبعا سوف يعود سيناريو تهجير الفلسطينيين إلى تلك الدول عن طريق ما تسمى المنظمات الإنسانية كما هي العادة..

من خلال هذا المختصر يتبين أن معظم عمليات القتل والتهجير التي تصب لصالح الكيان اليهودي والتي عانى منها الفلسطينيين في لبنان وسوريا والعراق كانت على يد المليشيات والمنظمات والفرق الشيعية وهذا ليس بغريب فلطالما وقفت وساندت الفرق الشيعية كل عدو كان يغزو بلاد المسلمين وسلمت الدولة الفاطمية فلسطين للعدو الصليبي وحالف الصفويون البرتغال ضد الدولة العثمانية ودخلت القوات الامريكية العراق على رؤوس الشيعة وهذا غيض من فيض خيانات الشيعة وعدائهم لثوابت الأمة الاسلامية كيف لا

ومؤسس هذه الفرقة هو ابن سبأ اليهودي .

من يجرؤ على التفكير؟

حسام عيتاني - الحياة اللندنية ٢٠١٣/١٢/١٣

بعد كل اغتيال يظهر من يقول إن «ما بعد هذه الجريمة ليس كما قبلها». وهذا صحيح لكن بمعان ربما لم يقصدها قائلها.

ولا يخرج تطلّب الرد على اغتيال الوزير السابق محمد شطح عن يوميات الجماعات اللبنانية المتناحرة. وتبدو الكلمات المشددة على سلمية كل التحركات الرامية إلى نزع السلاح غير الشرعي من البلاد المسؤول عن اغتيال شطح وغيره من السياسيين والصحافيين كانعكاس لآمال وتمنيات أكثر من تمثيلها حقيقة المشاعر عند جمهور لبناني عريض.

المناخ في لبنان اليوم مناخ صراع سني- شيعي مفتوح. مسلح وسياسي سيمتد ليشمل حتى التبادلات الاقتصادية والخدمية. ومن المفيد التذكير أن عمق العداء بين هاتين الطائفتين لم يشهد له لبنان مثيلاً منذ تأسيسه في ١٩٢٠ حتى في ذروة الحرب الأهلية. وتجاوز في حدته الصراع الإسلامي المسيحي القديم. ولا تلوح في الأفق بارقة أمل واحدة لتحول دون انفجار الصراع. من نافل القول إن الحلفين السياسيين ٨ و١٤ آذار (مارس) قابلان للاختزال في المواجهة هذه إلى القوتين الأبرز بينهما: «حزب الله» و «تيار المستقبل». وتؤدي الأطراف المنضوية في إطار التحالفين أدواراً ثانوية إلى جانب هاتين الجهتين.

لكن ثمة اختلافاً كبيراً في فهم الصراع وإدارته وخوضه بين الجانبين. فـ «حزب الله» يأتي إلى ساحة الصراع محاطاً بتأييد يداني الإجماع من طائفته، بالتعاطف والتفهم إن لم يكن بالمساندة المادية والعملانية، بعدما انتزعت قيادة الحزب الموقع الأول، وتركت «الثنائية الشيعية» التي تضمها إلى جانب حركة «أمل»، شكلاً من دون مضمون. يضاف إلى ذلك أن الحزب أكثر «لبنانية» بمعنى القدرة على التعبئة والحشد الطائفيين وتسليح الأنصار سيراً على عادات الأقليات المشرقية منذ زمن سحيق، من خصومه في «المستقبل».

في المقابل، فشلت كل محاولات عسكرة الطائفة السنية أو زج كتلتها الرئيسة في أي جولة من جولات القتال منذ ما قبل الاستقلال لأسباب تتعلق ببنيتها وهيمنة الزعامات المدينية عليها وشعورها الدائم أنها «حصة الدولة» ونوع من الطمأنينة إلى الحاضر والمستقبل والإرث الراسخ في السلطة. البؤر المحاربة في حارات طرابلس وتجربة الشيخ أحمد الأسير في صيدا تبدو استثناءات من النوع الذي يؤكد القاعدة. الانتشار الجغرافي على امتداد الخريطة اللبنانية والتركز في المدن من السمات المانعة لتشكل عصبية الجماعة المقاتلة. لهذه الأسباب ولغيرها يبدو انتظار تبلور القيادة المحاربة للسنة اللبنانيين يجافي الصواب تمام المجافاة.

لا يعدم ذلك ظهور ردود فعل عنيفة موضعية وآنية قدم التفجيران الانتحاريان قرب السفارة الإيرانية عينة عنها. لكن هذه الأعمال لا تمثل المزاج السني العام.

هل يعني ذلك التسليم بنهاية الصراع السني- الشيعي في لبنان بتحقيق الشيعة انتصاراً جديداً؟ اختصار الجواب بنعم أو لا، يبتسر تعقيد الوضع المحلي وما يجري في سورية وفي المنطقة عموماً. ويجوز الاعتقاد أن أي صدام مسلح واسع النطاق سيسجل فيه «حزب الله» تقدماً ميدانياً لا يُبارى آخذاً في الاعتبار غياب البنية العسكرية والتنظيمية عند كل الأطراف المواجهة له مجتمعة.

بيد أن اقتصار الحساب على الجوانب العسكرية في الصراع يبدو قصير النظر وطفولياً. ذلك أن «اليوم التالي» لأي مواجهة سيحمل السؤال عن الترجمة السياسية لها. مع من

سيتفق «حزب الله»؟ من سيمثل الطائفة السنية في أية تسوية؟ ما هو تصوره للعلاقات بين الجماعات اللبنانية؟ غني عن البيان أن من يسمّون «الاختراقات» بين السنّة يكادون لا يمثلون أنفسهم. وفي ظل الفراغ الميثاقي بعد الوفاة السريرية لاتفاق الطائف وبعد اضمحلال مفاعيل اتفاق الدوحة، تتسم الأسئلة أعلاه بأهمية استثنائية. وانتخابات ٢٠٠٩ التي خسر فيها الحزب بعد عام واحد من اقتحامه بيروت في أيار (مايو) ٢٠٠٨، نموذج للتفكير، عند من يجرؤ عليه.

عبقرية القاتل إذ لا تكمن في فن القتل، بل في ابتذاله

حازم الأمين – الحياة اللندنية ٢٠١٣/١٢/٢٩

راجت مقولة في أعقاب قصف النظام السوري الغوطة الشرقية في ريف دمشق بأسلحة كيماوية قبل أشهر، ونجاته من العقاب الدولي، مؤداها أن النظام نجح في رفع سقف عدد القتلى في اليوم الواحد إلى حدود الألف، وأخذ تفويضاً دولياً بذلك، شرط أن يكون القتل «غير كيماوي». وما جرى قبل أيام في حلب يُثبت صحة هذه المقولة، ذاك أن أكثر من مئتي قتيل سقطوا نتيجة قصف المدينة بالبراميل المتفجرة لم يُحركوا أحداً.

إنها إحدى قصص نجاح نظام «البعث». استدراج الصمت في أعقاب المجزرة. عبقرية القاتل هنا لا تكمن في فن القتل، بل في ابتذال القتل، وفي جعله عادياً وفي استنفاد صوره في أقل من لحظات سريعة.

أن تقتل «داعش» رجلاً في حلب حدث أقوى من أن يقتل النظام مئتين في المدينة. دعك من الإجرام الواحد الذي يقف خلف الواقعتين، فهذا لا يُلغي أن عبقرية مجرمة ومبدعة جعلت من هذا أمراً ممكناً. عبقرية لا تستدرج الإعجاب، إنما الذهول والخوف، وهي إذ تُحسن توظيف القتل في الإمعان في الصمت، تُضاعف كل يوم عنفها مدركة أن حدود المعادلة صارت مفتوحة.

والحال أن ابتذال القتل لا يجعل منه فعلاً عادياً. النظام نفسه لا يريد من القتل أن يُصبح فعلاً عادياً، فهو يُدرك أن ذلك يُفقده قوة الإبداع وسلطة الموت. يريد أن يُمارسه بصفته أفقاً وعلاقة تربطه برعاياه ومواطنيه. هذا دأبه أصلاً منذ أكثر من أربعين عاماً.

قد تُحدث مقولة إن النظام أبدع في القتل استياء وذهولاً، وقد تُخلّف شعوراً بأننا نعترف له بقوته وبقدرته، وهو أيضاً يطلب اعترافنا بشرعيته مستعيناً بهذه المقولة. ولكن، لا بد لنا من أن نعترف له. فهو اخترع القتل الجزئي والنخبوي ليكتسب شرعية القتل الجماعي. إعدامات «داعش» تُجيز إعدامات جماعية، وحرق كنيسة يجيز حرق المساجد كلها، وخطف رزان زيتونة أنسَانا سجوناً تمتد من صيدنايا إلى تدمر.

لنكاشف أنفسنا بهذه الحقيقة. فعندما أقدم «لواء الإسلام» على خطف ناشطي مركز مراقبة الانتهاكات، أصابنا ضعف في انشغالنا بسجن صيدنايا وبفرع فلسطين وغيرهما من مراكز الاعتقال. هذا إنجاز جوهري للنظام. وعندما تقدمت «كتائب إسلامية» نحو سجن حلب صار همّ الناشطين سلامة المساجين لا ظلامة سَجنهم.

إذاً، اخترع النظام الموت الجزئي في مواجهة الموت العام. الصورة المجتزأة لوجه القتيل في مواجهة صورة الموت الجماعي. موت الفرد الواحد أقوى إذا ما كان صورة. هو موت أقرب إلينا وأكثر فعالية وقدرة على أن يتفشى في المخيلة وفي الضمير.

وبينما دفعنا النظام إلى ذلك حوّل موتنا إلى رقم عادي ومبتذل. مئتا قتيل في حلب. إنه مجرد رقم، بينما تلك الراهبة التي خطفتها «داعش» وربما قتلتها أو ستقتلها، فهي وجه واسم وسبحة وإيمان، وهي مظلومة حقاً، انتهك حقها في أن تعيش وأن

تُصلي وان تكون. ولكن، ماذا فعلنا نحن لقتلانا؟ وماذا عن نجاح النظام في تصوير «قتيله» وفشلنا في ضخ حياة في رقم قتلانا؟ ناهيك عن أن الراهبة قتيلتنا وليست قتيلته، لكننا مرشحون أيضاً لمصير مشابه لمصيره، أي أن يسرق النظام ظلامتنا، وأن تُقدمنا «داعش» هدية له. أليس هذا تماماً ما جرى للأب باولو، فقد سرق النظام ظلامته بعد أن كان طرده من كنيسته في القلمون.

يجب الكف عن ندب الحظ واتهام العالم بانعدام الضمير. هذا لا يُفيد بشيء الآن. ليس العالم وحده من أنتج «داعش»، نحن أيضاً لم نملك المناعة الكافية، ولم نُصدق حين قال النظام إن في جعبته أسلحة لا تنتهي. صحيح أن العالم لم يعد مكترثاً لعدد قتلانا، وأن السياسة عمل لا أخلاقي في كثير من الأحيان، لكن جهلنا بذلك يُشبه جهلنا بقوة وجه القتيل في مقابل رتابة الرقم.

من غير العادل فعلاً أن ينتصر قتيل على آلاف القتلى، ولكن من الجهل أيضاً أن نهدي للنظام قتيلنا. أن نشك للحظة في أن «داعش» و «النصرة» وألوية الأمراء الإسلاميين المفرج عنهم من سجن النظام لكي يدخلوا في بطوننا، يمكن أن يُقاتلوا إلى جانبنا. ومن غير العادل أيضاً أن تذوي قضية على هذا المقدار من العدالة ومن السطوع، وأن يكون القاتل سافراً إلى هذا الحد. أن يقول جهاراً نهاراً: هذا أنا، وهذا ما أفعله وما سأفعله، وأن يكون الجواب نصيحة بأن نذهب إلى «جنيف - ٢»، ولا خيار أمامنا سوى أن نذهب. فمن غير السياسة أن نقول إننا لن نذهب.

المشهد مقفل فعلاً. الصواب هو أن يذهب الجميع للقاء القاتل هناك في جنيف. هذه حقيقة لا راد لها. ولن يكون ما يرتكبه النظام ذخيرة له على تلك الطاولة، لا بل إنه يلقي بالبراميل مستبقاً الطاولة بهدف إطاحتها. لكن ذلك لا يلغي أننا مدعوون إلى وليمة واحدة معه.

نجح النظام في رفع سقف عدد القتلى. في حلب قتل قبل أيام أكثر من مئتين في ليلة واحدة. الاستنكار جاء باهتاً، هزيلاً وروتينياً، وما ترتب على ليلة البراميل لم يعدُ كونه تثاؤب ضمير. وثمة من يدعونا للإعجاب بذلك، والاقتناع بأن النظام باقٍ، لأن العالم قبل به على رغم ذلك.

لا يمكن أن يصح ذلك. لا سابقة له في التاريخ الحديث. أن يُقنع نظامٌ العالم بأنه ضرورة، بدليل تمكنه من قتل كل هؤلاء، فهذا يدفع إلى الشك بكل شيء. صحيح أنه جهّز لهذه المهمة فريقاً إعلامياً هائلاً، واستثمر في ميل العالم لعدم غفران أخطائنا، وفي معرفته القوية بمكامن ضعفنا وخوائنا، ولكن يبقى أن من المستحيل أن يستقيم القتل في ضمير البشرية.

لا خيار لنا سوى أن نذهب الى «جنيف - ٢»، وأن لا نستجيب لنداء البراميل. من القسوة أن نُقر بذلك، ولكن من السياسة أيضاً أن نذهب.

دماج بين الحقيقة والسفسطة

الشيخ عبد الوهاب الحميقاني - صفحته على الفيس بوك

السفسطة أو السفسطائية نوع من أنواع الفلسفة أو حالة فلسفية تعتري الإنسان يجحد بها وجود المحسوسات أو العلم بها او يغالط نفسه بجحد الحقائق بل قد يتصور في ذهنه مالا وجود له في الواقع ويريد أن يعيشه واقعا ويريد أن يقتنع به الآخرون تبعا لتصوره.

وقضية دماج ترتكز على حقائق واقعية محسوسة لا يجحدها أحد إلا السوفسطائيين الذين يريدون أن تقرا قضية دماج من الأسفل أو تنظر من العاكس أو تأخذ من أذهانهم لا من واقعها أو تقرر من المغالطات المموجة لا من الحقائق المنشورة و من هذه الحقائق :

- أن الحوثي يسعى لإقامة دولته القائمة على ولاية الحكم المقصورة على نسل علي رضي الله عنه من بطني الحسن والحسين رضي الله عنهما، بناء على وصية غدير خم المزعومة والنص من رسول

اللّه ﷺ فيها بزعمهم بأن ولاية الحكم لعلي وذريته، وحفاوة واحتفال الحوثيين بعيد الغدير هو لإظهار هذه الوصية المزعومة وترسيخ تلك الولاية المتوهمة.

- أن الحوثي يسعى لإقامة دولته تلك بالحديد والنار والجاه والمال والترغيب والترهيب وفي سبيل ذلك قتل وجرح الآلاف من أبناء القوات المسلحة والأمن وسيطر على كثير من معسكراتها وعتادها وقتل وجرح آلاف المواطنين الأبرياء ودمر البيوت والمزارع ومؤسسات الدولة وسيطر على ما بقي منها وهجر وشرد مئات الآلاف من المواطنين ممن يخالفونه اعتقاده وتصوره وبسط نفوذه على محافظة صعدة وما جاورها وسيطر على مقاليد السلطة التنفيذية فيها وفرض الأتاوات على الناس وأخذ أموالهم وصادر ممتلكاتهم و فتح المعتقلات وطارد المخالفين واعتقل المعارضين ومنع أي نشاط فكري بل يمنع قيام أي نشاط ولو تظاهرة سياسية داخل صعدة إلا لدعوته وووو.

- أن الحوثي لم يكتف باختطاف صعدة من حاضرة الدولة اليمنية بل سعى و يسعى لتوسيع نفوذ سيطرته على مناطق اليمن لبناء دولته فأطلق الزمام لميليشياته بشن الحروب على أبناء الشعب اليمني خارج صعدة في الجوف و في عمران وحجة وتهامة وصنعاء والمحويت و الرضمة ومازال.

- أن الحوثي مدعوم سياسيا ومعنويا وماديا من حلفائه في الخارج والداخل حتى غدا متمردا على الدولة وسلطاتها غير معترف بشرعيتها في كل أحواله وتصرفاته.

- أن الحوثي رغم قبوله بالحوار رفض تسليم الأسلحة الثقيلة التي أخذها أو سلمت له من الجيش وأصبح معيقا للحوار الوطني ومخرجاته بتعنته وكثرة اعتراضاته ومعارضاته وانسحاباته.

- إن الحوثي مصر في الحوار الوطني على فيدرالية تحقق له حكم ذاتي لإقليم الشمال - ولذا يريد أن ينتهي من دماج - ، وقرر في خطابه لمؤتمر الحوار بأنه لن يقبل بحل في قضية صعدة وشكل الدولة إلا بما يرضي أنصار الله، فلا قيمة عند الحوثي لرضى أبناء صعدة بل لا قيمة لرضى أبناء الشعب اليمني المهم ما يرضاه ويرضيه.

- أن الحوثي سعى ويسعى لدخول دماج والسيطرة عليها و تقويض مركز دار الحديث فيها وتهجير طلابه ورواده ومنع التعليم فيه والهجرة إليه وشن لذلك حروبا عدة على دماج و فرض عليها حصارات طويل، يقوده في ذلك بغضه للسنة وأهلها ويحركه لذلك طمعه السياسي ويتجلى فيه حقده الطائفي المقيت ويتدثر لذلك بمحاربة التكفيريين والإرهابيين.

- أن أبناء دماج وطلابها لم يهاجموا الحوثي قط في موقع من مواقعه ولم يشاركوا أحدا في الاعتداء عليه بل لما كانت الدولة تقاتلهم وطلبت عون أهل دماج ودار الحديث في ذلك أبوا وامتنعوا الدخول في الحرب وعكفوا على دراستهم وأقلامهم وكتبهم.

- أن المعركة الأخيرة تدور رحاها في قرية دماج وبين بيوتها بل داخل دورها والحصار مفروض عليها من كل جانب والقصف ينزل عليها من كل صوب ويمنع الدخول إليها من كل أحد ورغم لجان الرئاسة ووساطات القبائل والتحرك السياسي والضغط الإعلامي ومناشدة المنظمات الدولية وحضور الصليب الأحمر لم يسمح لهم الحوثي إلا لساعات ولنقل بعض الجرحى بعد تلكأ ومنع وقبول ورفض لعدة أيام ومازال يمنع دخول الحقوقيين ونشطاء الإعلام ومنظمات الإغاثة والغذاء والدواء والماء إلى دماج و إلى الآن، والساذج اليوم يدرك في قضية دماج من المعتدي من المعتدى عليه من المهاجم من المدافع من المحاصِر - بالكسر - من المحاصَر - بالفتح - إلا أهل السفسطة فلم يظهر لهم الأمر إلى الآن.

إننا طالبنا الدولة أن تقوم بواجبها لحماية أبناء دماج وطالبنا المسؤلين من وزير الدفاع إلى

الحكومة إلى الرئاسة إلى مؤتمر الحوار الوطني إلى الأمم المتحدة بالقيام بواجبهم ومسؤلياتهم في حماية المواطنين ومنع الحرب وضبط المعتدين وطالبناهم بتشكيل لجنة تقصي حقائق تنزل لدماج معززة بوحدات الجيش لضبط المعتدي من أي جهة كانت.

فكانت اللامبالاة هي الرد والصمت هو السيد والتواطؤ هو الحقيقة ومازالت المطالبة قائمة والعجز قائم .

والأيام تمضي والحوثي يقصف ويحاصر ويعبث ودماء وأنفس أبناء دماج تنزف وتزهق ولا مجيب ولا مغيث، ثم بعد ذلك يأتي سفسطائي بلسان الاعتدال ودثار العقلانية وشعار المنطق وقلم الفيلسوف يخذل عن نصرة المظلومين في دماج بل ويستهجن وينكر ويحرم ويجرم قتال أهل دماج دفاعا عن أنفسهم، مغالطا نفسه وضميره قبل الآخرين بأن أهل دماج ماهم إلا حجوريين متشددين متطرفيين وفي أحسن أحواله يعد دفاع أهل دماج كيف ما كانوا عن أنفسهم مشاركة في حرب طائفية يستوي فيها الضحية والجلاد القاتل والمقتول، سبحانك ربي هذا بهتان عظيم.

ولهؤلاء السفسطائيين أقول مالكم كيف تحكمون. أختصروا المعركة وأطفئوا نار الفتنة الطائفية بدل التخذي عن نصرة المظلوميين بأحد أمرين:

- بإقناع الحوثي بأن يكف عن بغيه وتمرده وطائفيته وأن يرجع صعدة إلى حاضنة الدولة وأن ينخرط في العمل السياسي بعيدا عن السلاح والدماء والدمار.

- أو بإقناع الدولة وسلطاتها بأن تقوم بواجبها في حماية أبناء اليمن و صعدة ودماج وأن تعيد سلطاتها إلى حاضرة صعدة وأن تنزع سلاح الطرفيين وأن تضبط المعتدي من أي جهة كانت.

وإلى أن يقتنع أحدهما بما خاطبتموه به إن خاطبتموه ويقوم بما يجب عليه ويحققه واقعا إن قدرتم على ذلك فدعوا المذبوح يصرخ في وجه ذابحه إن لم تستيطيعوا نجدته وإنقاذه.

الدور الأمريكي – الإيراني في تأجيج الطائفية بالمنطقة

علي حسين باكير – صحيفة العرب القطرية ٢٠١٣/١٢/١٧

على عكس ما يبشّر به كثيرون من أنّ الاتفاق النووي بين واشنطن وطهران سيأتي بالخير والبركات للمنطقة، وسيخفف من التوترات والفتن المشتعلة في كل مكان في الشرق الأوسط، فمن المتوقع أن يترك الاتفاق انعكاسات سلبيّة جدا ليس أقلّها تأجيج الفتن الطائفيّة في العالم العربي.

إحدى أهم الأسباب التي تدفعنا إلى ترجيح ذلك هو أنّ نظام الملالي في طهران وعلى مدى أكثر من ثلاثين عاماً عبّأ أدمغة أتباعه ومريديه بشعارات مثل «الموت لأميركا» و«أميركا الشيطان الأكبر»..إلخ من هذه الشعارات. ومع الانعطافة الحادّة والمفاجئة والتي انتهت بتوقيع اتفاق، أصاب المشهد هؤلاء الرعيّة بنوع من الصدمة، ولاستيعاب هذه الصدمة سريعا، شرع النظام الإيراني في إيجاد بديل يكمن في ما يسمّيه «التكفيريون»!

ولأن التهجّم على الولايات المتّحدة الآن قد يخرّب الاتفاق الأخير، وكذلك مهاجمة إسرائيل قد تؤدي إلى نفس النتائج، فإن مهاجمة ما يسمى «بالتكفيريين» أو «بالإرهابيين» ستكون له منافع كثيرة بالنسبة لنظام الملالي ليس أقلّها دفع عجلة التعاون بين طهران وواشنطن خطوة إلى الأمام على اعتبار أن طرح موضوع محاربة الإرهاب يعدّ دائما ورقة جيّدة للولوج إلى عقل وقلب الغرب!

في شهر أكتوبر الماضي، قامت طهران بحملة لإزالة اللوحات التي تعبّر عن العداء لأميركا من شوارع العاصمة، كما طلب عدد من الأئمة المصلّين بعدم رفع شعار المعتاد الموت لأميركا، وقام النظام الإيراني بإلغاء المؤتمر الدولي السنوي لمكافحة الصهيونيّة كبادرة على حسن سيرتها وسلوكها.

لكن في المقابل، قام المالكي بعقد مؤتمر تحت عنوان «المؤتمر الدولي لبحث مخاطر الحركات التكفيريّة»، وقد تزامنت هذه الخطوات المختلفة مع سيمفونيّة شيعيّة حول الحركات «التكفيريّة» من كل من لبنان والعراق وسوريا، ولم يشذ عن هذا النشار أحد ممن يعرفون بأنّهم أبواق لنظام الملالي في المنطقة العربية.

منذ ذلك الحين، لا يخلو أي خطاب مهم لأمين حزب الله حسن نصر الله ولرئيس الحكومة العراقية نوري المالكي وصديقهم الأسد وباقي الملالي في طهران من إشارة مباشرة إلى «التكفيرين» ومخاطر «التكفيريين» ومحاربة «التكفيريين». ومن الواضح أنّ المعني بالتكفيريين لدى هؤلاء الذين يصادف أنّهم شيعة الولي الفقيه، هم في حقيقة الأمر عامّة السنّة ممكن هم ليسوا معهم، فكل من يعارض الأسد من السنّة هو «تكفيري» حتى وإن كان علمانيا، وكل من يعارض المالكي من السنّة هو «تكفيري» أيضا، وكل من يعارض حزب الله ونفوذ إيران في المنطقة العربيّة من السنّة هو «تكفيري» أيضاً.

هذه القراءة وهذا السلوك من المحور الإيراني

يشعل الطائفيّة في المنطقة ويعزز من رؤية بعض الجماعات التي تقول بوجود محور أميركي- إيراني ضد السنّة يهدف إلى بناء هلال شيعي، وهو مشروع تم البدء به منذ الإطاحة بنظام صدّام حسين في عام ٢٠٠٣، وصعود الشيعة إقليميّاً. بالنسبة إلى عدد من المتابعين، فإن ما كان يوما يسمّى «أسطورة» الهلال الشيعي، أصبح أمرا واقعا وحقيقيا اليوم خاصّة بعد اندلاع الثورة السورية، والاتفاق الأخير بين واشنطن وطهران هو لتشريع هذه الحقيقة، فحزب الله كان قد أعلن أنّه سيبقى في سوريا مهما كلّفة الأمر ومهما كانت التداعيات، وكان منذ بدء حملته العلنية داخل سوريا يسوّق تدخّله للغرب ولإسرائيل على أنّه تدخّل لمحاربة «التكفيريين».

أمّا المالكي فهو يقوم منذ أشهر طويلة بمحاربة السنّة تحت عنوان محاربة «التكفيريين»، وآخر تصريح له حول ضرورة العمل على محاربة «التكفيريين» في العراق وسوريا من العاصمة الإيرانية طهران، بل وحتى من يوصف بالرئيس المعتدل الذي يقود عملية التصالح مع واشنطن أشار في تصريح له مؤخرا إلى أنّ أخطر «إرهابيي» العالم يقاتلون اليوم في سوريا في إشارة واضحة إلى أنّ محاربة السنّة تحت عنوان «التكفيريين» أو «الإرهابيين» أو «المتطرفين» أصبح أجندة مشتركة للمحور الإيراني مع أميركا والغرب، وهو ما يعني أننا مقبلون على نزاعات أكثر دموية وموجات من التحريض الطائفي الإيراني في المنطقة والذي سيستجلب معه بالضرورة ردود فعل مدمّرة بدأنا نرى بعض أشكالها مؤخرا في لبنان، حيث قام –ولأول مرة- لبناني من منطقة صيدا التي شن حزب الله حربا فيها قبل عدّة أشهر ضد الشيخ الأسير وأتباعه والمدنيين في بعض أحيائها، بتفجير نفسه في السفارة الإيرانية.

باختصار، لم يثبت مطلقا أن مكافأة اللاعب السيئ السلوك من خلال إدماجه في المعادلة الإقليمية أو من خلال إشراكه في الترتيبات الأمنيّة أو من خلال الاعتراف بـ «شرعية» مصالحه ونفوذه هو عامل إيجابي. على العكس، فإن مكافأة اللاعب سيئ السلوك يشجعه على الأسوأ، هو ما سنراه على الأرجح في المنطقة، وخير دليل مكافأة إيران على سلوكها السيئ سابقا في العراق وبعدها في لبنان، والنتيجة ما تشاهدون اليوم لا ما تسمعون.

مستقبل إيران على ضوء صراع النظريات

صباح الموسوي – المصريون ٢٠١٣/١٢/٢٩

تشهد إيران صراعا بالغ الخطورة بين تيارات النظام الكثير من جوانبه غير ظاهرة للعيان، ام الجوانب الظاهرة منه فان اطراف الصراع تحاول ان تخفف من حدته في سبيل عدم حرق المراحل قبل تحقيق الهدف . ولكن ما هي طبيعة هذا الصراع وما هي اهدافه؟ عندما احس قادة الحركة الشعوبية و بعض مراجع الحوزة الدينية الإيرانية ان نظرية «الإمام المهدي الغائب» اخذت تفقد بريقها ولم يعد استخدامها ممكناً في ادارة الدولة والنظام

الجديدين اللذين تشكلا عقب الثورة التي اطاحت بالنظام العلماني وأسست لبناء نظام ديني هدفه الدفع بالمشروع الشعوبي والطائفي الإيراني الى اقصى مدى ممكن، وذلك اعتمادا على خطاب ثوري يرفع شعار «نصرة المستضعفين». لذلك وجدوا ان الاعتماد فقط على نظرية «الإمام المهدي الغائب «كقائد و موجه ومدير للثورة والمشروع الذي يسعون في تحقيقه، لا يصلح في هذه المهمة، خصوصا ان تصدير المشروع لا يعتمد على الشيعة المؤمنين بنظرية الإمام المهدي الغائب فقط وانما يعتمد على اشراك منهم من غير الشيعة وغير المسلمين ايضا.لذا لجأوا الى تطبيق نظرية « الولي الفقيه» ليكون هو القائد للدولة والموجه للمشروع المراد تحقيقه. ولكن مع السنين اخذ «الولي الفقيه « الذي كان من المفترض ان يكون وكي لا بالنيابة عن الامام الغائب ، صار يحل محل الإمام المهدي الغائب ويتصرف بكامل صلاحيات الإمام، وقد بلغ الأمر درجة اصبح فيها الولي الفقيه يعمل على سحق كل من يتحدث عن قرب ظهور الامام الغائب. وهذا ما شاهدناه في السنوات الاخيرة حيث دب الصراع بين التيار القائل بنظرية «عصر الظهور» والذي يقف على رأسه الرئيس الإيراني السابق محمود احمدي نجاد و مجموعة من كبار رجال الدين ومرجعيات الحوزة الدينية من ابرزهم محمد تقي مصباح يزدي وبعض قيادات الحرس الثوري و كبار تجار سوق طهران من جهة ، و بين التيار الرافض لنظرية» عصر الظهور» . و هذا التيار الذي يضم قادة من الحرس الثوري ومراجع دينية وقادة سياسيون، و يقف على راسه « الولي الفقيه» ذاته، الذي طور منصب الولاية لتصبح امامة واصبح بموجب هذا التطور يسمى «امام المسلمين السيد علي خامنئي» . ان نظرية ولاية الفقيه التي جاءت كمخرج لمأزق نظرية الإمام الغائب ، تحولت هي ذاتها الى مأزق آخر بعد ان اصبحت محور صراع سياسي بين تيارين في النظام و السلطة الإيرانية كل منهما يرى في نفسه الأحرس والأقدر على

تحقيق المشروع الإيراني. من هنا يرى المراقب لشأن الإيراني ان الصراع بين تيارات النظام ليس صراعا عابرا كما يتصوره البعض، و انما هو صراع ذات طبيعة فكرية وهذا ما يؤكد اهميته . فمن المعروف ان الصراعات الفكرية لا مكان للمصالحة بينها ، و لا تتوقف الا بهزيمة احد طرفي الصراع ، كما ان هزيمة هذا الطرف لا تتم الا على ركام من الخراب الذي يحل بالارضية التي قام عليها الصراع . وهذا ما يتوقعه المراقب لمستقبل الصراع لذلك وجد القادة الإيرانيون ان الاعتماد فقط على نظرية «الإمام المهدي الغائب «كقائد وموجه ومدير للثورة والمشروع الذي يسعون لتحقيقه، لا يصلح في هذه المهمة ، خصوصا ان تصدير المشروع لا يعتمد على الشيعة المؤمنين بنظرية الإمام المهدي الغائب فقط و انما يعتمد على اشراك من هم من غير الشيعة وغير المسلمين ايضا.لذا لجئوا الى تطبيق نظرية «الولي الفقيه» ليكون هو القائد للدولة والموجه للمشروع المراد تحقيقه. ولكن مع السنين اخذ «الولي الفقيه» الذي كان من المفترض ان يكون وكيل بالنيابة عن الإمام الغائب ، صار يحل محل الامام ويتصرف بكامل صلاحياته ، وقد بلغ الأمر درجة اصبح فيها الولي الفقيه يعمل على سحق كل من يتحدث عن قرب ظهور الإمام الغائب. وهذا ما شاهدناه في السنوات الأخيرة حيث دب الصراع بين التيار القائل بنظرية «عصر الظهور» والذي يقف على رأسه الرئيس الإيراني السابق محمود احمدي نجاد و مجموعة من كبار رجال الدين ومرجعيات الحوزة الدينية من ابرزهم محمد تقي مصباح يزدي وبعض قيادات الحرس الثوري و كبار تجار سوق طهران من جهة، و بين التيار الرافض لنظرية «عصر الظهور» . و هذا التيار الذي يضم قادة من الحرس الثوري ومراجع دينية وقادة سياسيين، و يقف على رأسه «الولي الفقيه» ذاته، الذي طور منصب الولاية لتصبح امامة و اصبح بموجب هذا التطور يسمى «امام المسلمين السيد علي خامنئي». ان

نظرية ولاية الفقيه التي جاءت كمخرج لمأزق نظرية الإمام الغائب ، تحولت هي ذاتها الى مأزق آخر بعد ان اصبحت محور صراع سياسي بين تيارين في النظام و السلطة الإيرانية كل منهما يرى في نفسه الأحرص والأقدر على تحقيق المشروع الإيراني. من هنا يرى المراقب لشأن الإيراني ان الصراع بين تيارات النظام ليس صراعا عابرا كما يتصوره البعض، و انما هو صراع ذات طبيعة فكرية وهذا ما يؤكد خطورته . فمن المعروف ان الصراعات الفكرية لا مكان للمصالحة فيها، و هي لا تتوقف الا بهزيمة احد طرفي هذا الصراع ، كما ان هزيمة هذا الطرف او ذاك لا تتم الا على ركام من الخراب الذي يحل بالأرضية التي قام عليها الصراع . وهذا ما يتوقعه المراقب لمستقبل الصراع في إيران.

ماذا سينتظر المنطقة في العام ٢٠١٤؟

علي حسين باكير - صحيفة العرب القطرية ٢٠١٣/١٢/٢٤

في الوقت الذي تمر فيه المنطقة بمنعطفات خطيرة تتطلب اتخاذ قرارات نافذة وأعمال حاسمة، ستدخل عدّة دول في حالة من الشلل السياسي الذي من شأنه أن يزيد الأمور تعقيداً في ظل تحيّن بعض اللاعبين على المستوى الإقليمي والدولي لمثل هذه الفرصة لعقد صفقات تكرّس الاعتراف بما يعتبرونه «شرعية مصالحهم ونفوذهم الإقليمي»، وقطف الثمار السياسيّة لهذه الصفقات على حساب المنطقة وشعوبها.

في تركيا، سيكون العام ٢٠١٤ عاماً صعبا جدّا بالنسبة لحزب العدالة والتنمية الحاكم، إذ سيشهد هذا العام استحقاقات متعددة قد تغيّر وجه تركيا على صعيد استكمال مسيرتها الإصلاحيّة والانفتاحيّة التي انطلقت منذ العام ٢٠٠٢، أو التقهقر والتراجع إلى وضع يذكّر بالمرحلة التي سبقت مجيء حزب العدالة والتنمية إلى الحكم قبل العقد الماضي.

في العام ٢٠١٤، يستعد الأتراك للمشاركة في انتخابات بلدية ومن ثمّ رئاسيّة وبعدها في بداية عام ٢٠١٥ (أو نهاية عام ٢٠١٤ حال تم تقريب الموعد) انتخابات برلمانيّة، وكلها استحقاقات صعبة للغاية، وتأتي في ظل الاستقطاب الداخلي الحاد من جهة واحتدام الصراع بين حزب العدالة والتنمية وبين جماعة فتح الله غولن التي تمتلك نفوذا وتأثيرا واسعا داخل تركيا وخارجها من جهة أخرى.

كما تأتي هذه الاستحقاقات في ظل أوضاع إقليميّة مضطربة وشرق أوسط ملتهب في ظل استمرار تمسك النظام الانقلابي في مصر بالسلطة ولو على حساب تدمير مصر كدولة، وفي ظل استمرار سفّاح الأطفال في دمشق، وفي ظل تراجع واشنطن إقليميا ودوليا وتخصيصها لبعض المساحات للاعبين الآخرين إقليميا ودوليا.

ودخول تركيا في هذه المرحلة، يعني أنها لن تكون قادرة على اتخاذ قرارات إقليميّة جريئة خلال العام القادم، وهي أخبار ليست بالسارة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أنّ إيران ستكون الدولة الوحيدة ربما المتحررة من قيود استحقاقات داخليّة مماثلة، الأمر الذي سيتيح لها بالتأكيد هامش مناورة أوسع على المستوى الإقليمي.

في سوريا، تنتهي فترة الأسد في منصب الرئاسة في شهر يوليو من العام ٢٠١٤، ورغم عدم شرعيته بحكم الواقع الذي خلقه بنفسه والجرائم التي ارتكبها بحق البشريّة والإنسانيّة جمعاء، إلا أنّ هناك من يصرّ إقليمياً ودولياً على إعادة تأهيله، والسماح له باستكمال ولايته بشكل تام، لا بل ومنهم من يذهب ضمنيا إلى تهيئة المناخ اللازم لبقائه في السلطة سواء تحت ذريعة عدم التمكن من إجراء الانتخابات أو تحت ذريعة أنّه الشيطان الذي نعرفه، وهي ذرائع واهية لكنّها قد تصبح مقبولة في ظل نظام دولي غير أخلاقي ولا يعترف إلا بالمصالح الضيقة لبعض أعضائه، بدليل الصفقة

الأميركيــة الروســية مــع محــور الممانعــة حــول الكيمـاوي الـسوري، والـتي أتـت علـى حساب الملايين بـين قتيـل وجـريح ومـشرد ولاجـئ ويتـيم، وكـذلك الـصفقة الأميركيــة الإيرانيــة علــى حــساب شــعوب المنطقـة خـصوصا الـدول الـتي نـشرت طهـران فيهـا الـدمار والخـراب طيلـة عقـود طويلـة لتـأمين مثـل هـذه الصفقة بالذات.

الـسماح للأسـد بممارسـة سـلطات حتـى ذلـك التــاريخ يعــد جريمــة بحــد ذاتــه، فمــا بــالكم بالـسماح لـه بالاسـتمرار لمـا بعـد ذلـك التـاريخ؟! سـوريا تحوّلـت إلى دولـة فاشـلة اليـوم بـسبب هـذا النظـام الفاشـل، والعـام ٢٠١٤ سـيكون حاسمـا باتجـاه إمـا وقـف نزيـف سـوريا وإعـادة بنـاء الدولـة أو إطالـة عمـر الـسلطة الموجـودة في دمـشق، وهـو مـا لا يعـني شـيئا سوى الاستعداد لتقسيم سوريا كواقع ميداني.

في العــراق، ســيكون العــام ٢٠١٤ عامــاً في غايــة الأهميـة لناحيـة تحديـد مـصير العـراق خـلال المرحلـة القادمــة، فإمّــا الاســتمرار في تبعيّــة العــراق سياســيا واقتـصاديا وأمنيـا لإيـران، وازديـاد تـدهور الأوضـاع الداخليــة وصــعود الطائفيــة وازديــاد عمليــات القتــل العـشوائية والممنهجـة وتهمـيش الـسنّة وعـزلهم وتفتيـت مقومــات الــبلاد ونهــب ثرواتهــا ومقــدراتها لــسنوات طويلـة قادمـة، أو البـدء في العمـل جـدّياً علـى تعـديل هـذا الـنهج. المفتـاح لتحديـد أي مـن الاتجـاهين سيسلك العـراق خـلال المرحلـة القادمـة سـيكون مـن خـلال الانتخابــات القادمــة في العــام ٢٠١٤، علمــاً أنّ شــبح الــصفقات الإقليميــة ســيلقي بظلالــه بــشكل ثقيــل علــى هــذا الــسيناريو. إذ مــن غــير المــستبعد أبــداً أن يـؤدي التوافـق الأميركـي الإيرانـي الجـاري حاليـا إلى إعـادة إنتـاج اتّفـاق علـى التمديـد لرجلـهم في العـراق بغـض النظـر عـن النتـائج الـتي سـتفرزها الانتخابـات القادمــة في العــراق، وهــو ســيناريو كــارثي يعــني في حـال تم أن العـراق سـيبقى في مـساره الـسلبي نفـسه الذي شهده خلال العقد الماضي.

في لبنــان، مــن المفــترض أن يــشهد العــام ٢٠١٤ انتخــاب رئــيس جديــد للــبلاد في ظــل شــبه انهيــار كامـل لكـل معـالم الدولـة وشـلل لأجهزتهـا الرسميّة وتآكـل مـا تبقـى مـن هيبتهـا وهيبـة مؤسـساتها لـصالح حــزب الله، الــذي صــادر كــل أشــكال الــسيادة الــسياسيّة والاقتــصادية والماليــة والعــسكرية للدولــة اللبنانيـة لـصالحه في مـسعى لإحكـام سـيطرته بـالقوّة علـى الـبلاد وأخـذها كرهينـة لتوظيفهـا في حـسابات إيران الإقليميّة.

صـــحيح أنّ شـــرعيّة حـــزب الله انهـــارت في العـــالم العربـــي والإســـلامي منـــذ العـــام ٢٠٠٦ خـصوصا بعـد الثـورة الـسورية عـام ٢٠١١، لكـن الأمـور علـى الأرض تـدار بمـوازين القـوى أيـضاً. فهـو يـضغط لتطويـع كافـة مؤسـسات الدولـة اللبنانيـة تـارة لاتخاذهــا كــدرع شــرعي لحمايتــه مــن الملاحقــات القانونيّـة والعقابيّــة الإقليميّـة والدوليّــة، وطــوراً مــن أجـل اتّخـاذ مؤسـساتها كـأداة لتنفيـذ مخططاتـه. وهـو في هـذا المجـال لـن يرتـدع عـن دعـم مـن يخـدم مـصالحه ليكـون في موقـع الرئاسـة، فـإن لم يـستطع فـسيبقى يمتلــك قــدرة التعطيــل، وهــو إن عطّــل مؤســسات الدولــة ســابقا ومــن ضــمنها الحكومــة اللبنانيــة والبرلمـان اللبنـاني، فـإن أي محاولـة لتعطيـل الموقـع المؤسـساتي الأخـير في لبنـان يعـني خطـوة أخـرى باتجـاه انهيـار النظـام الـسياسي اللبنـاني بأكملـه والـذهاب إلى المجهول.

والوضـــع في مـــصر لا ينفـــصل عـــن بـــاقي المنطقــة، إذ ســيحاول النظــام الانقلابــي في عــام ٢٠١٤ إجـراء بعـض المبـادرات الـشكليّة لاكتـساب شـرعيّة مفقــودة، وســيتركّز همّــه الأساســي علــى الحــصول علــى مثــل هــذه الــشرعيّة المــصطنعة في عمليــة تــشبيه المراحـل الـتي تمـر بهـا عمليـة تبيـيض الأمـوال أو مـا يـسمى أيـضا غـسيل الأمـوال، مـا سـيفتح البـاب واسـعا أمـام اسـتنزاف قـدرات الـبلاد الاسـتراتيجية في صـراع داخلـي علـى الـسلطة قـد ينتهـي إلى نتـائج كارثيـة، مـا لم يتراجع الانقلابيون عن توجهاتهم هذه.